مركز التنوير الإسلامي

دراسة جديدة حول النبي الحصور
يحيى بن زكريا

يحيى أم يوحنا

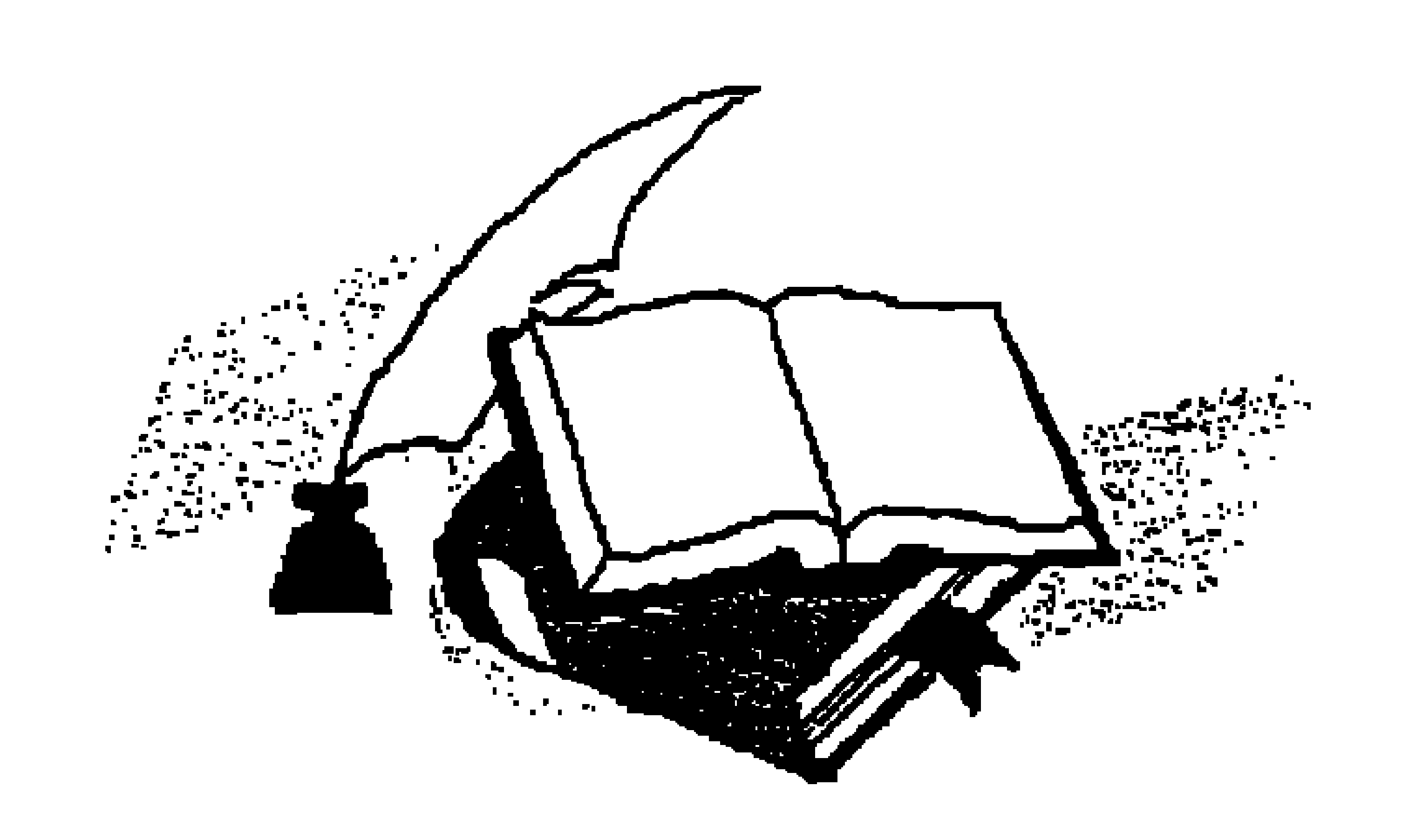
وشيا البكر يوحانان الثاني يهوياه

ع.م. جمال الدين شرقاوي

دراســـات
في
الإسلام والمسيحية

يَحْيَى أم يوحَنَّا ..!!؟

دراسة جديدة حول النبيّ الحَصُور
يَحْيَى بن زكريَّا
عليه السلام



ع / مـ : جمال الدين شرقاوى

فاتحـــة هذا الكتاب

============

أحمدُ اللهَ رب العالمين ، وصلاته وسلامه على أشرف المرسلين أحمَد ، شفيع الذنوب وطبيب القلوب ودوائها أحمَد . وسلام الله على أخيه يَحْيَى السابق الحصور ، الذى وَهَبَهُ الله حنانه اللدنى ، هِبَة منه إلى يَحْيَى ليَحْيَا . وقال له ﴿ يا يَحْيَى خذِ الكتابَ بقوة ﴾ .

أمَّا بعد :

أحمِدُ الله أن وفقنى لكتابة ذلك المبحث المتواضع عن النبىّ يَحْيَى الحصور صاحب الصوت الجهور ، السابق فى التوقيت والمولد ، مُعلِن غفران الذنوب بالتعميد فى الماء الجارى لجمهور التائبين العائذين بجناب الله .

ذلك النبيّ الذى لم يُسجِّل لنا قومه سيرته ، ولم يتوقف عند رسالته واسمه الباحثون . فولغوا فى سيرته وغيَّروا اسمه كما ولغ الأولون من مسيحىّ اليونان والرومان . ونسوا حظا مما ذكّروا به بشأنه ، حين قالت الملائكة لأبيه زكريَّا ﴿ أنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بيَحْيَى مُصَدِّقًا بكلمةٍ مِنَ اللهِ وسيِّدا وحَصُورا ونبيًّا مِنَ الصَّالحين ﴾ . وقوله تعالى لأبيه زكريَّا ﴿ يا زكريَّا إنَّا نبشِّرُكَ بغلامٍ اسمُهُ يَحْيَى لم نجعل لهُ من قبلُ سَمِيًّا ﴾ . فلم يتذكَّر المسيحيُّون إلا أنَّه كان مُصَدِّقًا بكلمة من الله أى مُصَدِّقًا بالمسيح ابن مريم عليه السلام وتناسوا أنَّه كان ﴿ سيِّدا وحَصُورا ونبيًّا مِنَ الصَّالحين ﴾ .

كما تناسوا اسمه يَحْيَى فضاع منهم ذلك الاسم الإلهى الذى قال الله عنه ﴿ لم نجعل لهُ من قبلُ سَمِيًّا ﴾ . فأتوا فى أناجيلهم باسم آخر هو يوحنّا لا يعرفه زكريّا ولا يَحْيَى ولا قومه ولا أتباعه من بعده ولا يوجد فى الأصول اليونانية للأناجيل ..!!

وتناسوا قول الله عنه ﴿ وسلام عليه يوم وُلِد . ويوم يموت . ويوم يبعث حيا ﴾ وذهبوا وراء حكاية سالومى الغانية ، فقالوا بقطع رأسه ..!! فالآية القرآنية تصرّح بأنّ يحيى عليه السلام يموت وليس فيها أنّه يُقتل . وقد فرّق القرآن بين القتل والموت ، ويظهر ذلك جلياً فى قوله تعالى ﴿ ولئن قُتلتم فى سبيل الله أو مُتّم .. ﴾ (١٥٧ / آل عمران) . وأيضا فى قوله تعالى ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل ... ﴾ (١٤٤ / آل عمران) فكيف يقولون بقتل يحيى عليه السلام والقرآن يقول عنه يموت ..!!؟

فقوله تعالى : ﴿ وسلام عليه يوم ولد ، ويوم يموت .. ﴾ دليل على أنه عليه السلام لم يقتل ، لأنّ القتل يتناقض مع السّلام الذى يحلُّ عليه من الله . فكيف يقول الله : سلام عليه يوم يموت ، ثم نقول نحن إنه قد قتل ..!!؟

وبمثل تلك الأمور التى أصبحت شبه مُسلّم بها لا تحتمل النقاش عند المسلمين وعند المسيحيين دار بحثى هذا عن نبىّ الله يَحْيَى عليه السلام . مولده ونشأته وبعثته ، والكلام عن اسمه الصحيح المُبَشّر به من الله ، ثم الكلام عن أصول دعوته ورسالته ، ودحض بعض مزاعم الحاقدين للنور

الخاتم ﷺ . ولقد تمثلت قول القائلين : أنّ قيمة الكاتب بما يُبدعه ولوكان قليلا . وليس بما يجمعه من الكتب ولوكان كثيرا . فكتبت كتابى هذا بمنهج علمى واضح ذى مدلول ، يقبل النقد فى النور ، ويرفض السباب والسفور . راجيا من المولى عزّ وجلّ أن يُضفى عليه بالقبول ، فهو نعم المولى والمأمول .

توطئة للبحث

======

يقف كثير من العلماء وعامة المثقفين أمام إسم نبىّ الله **يحيى** بن زكريا عليهما من الله السلام موقفا غريبا . فلا هم أثبتوا عروبة الإسم وأصله وفصله وبيان معناه فى لغته الأصلية ، ولا هم اعترفوا بعدم معرفتهم به . **فالمسلمون** آمنوا بصحة الاسم القرآنى يَحْيَى ، ثم اختلفوا فى أصله ومعناه فمنهم مَن قال بعروبته وقليل منهم مَن قال بأعجميته . **والمسيحيون** يُنكرون بشدة هذا الاسم ويقولون بأنه يوحنـّا وليس يَحْيَى . ولم يُحاولوا أن يبحثوا عن أصله وفصله فى لغته الأصلية الآرامية ولم يتفقوا بعد على معناه .

وحاول أنصاف المثقفون والمستشرقون أن يأخذوا بالأحوط فقالوا إنّ الاسم يَحْيَى هو الصيغة العربية للإسم العبرى يوحنـّا . وعلى ذلك الرأى اجتمع الناس مُسلمهم ومسيحيهم . ولكن الصيغة العبرية التى ذكروها هى **يوحنان** وليس يوحنـّا . وفى العبرية الجديدة نجده **يوخنان** و **يوخانون** بالخاء وليس بالحاء ..!!

مع أنّ **العبرية المعروفة** لم تكن قد ظهرت بعد فى عصر يَحْيَى والمسيح عليهما السلام . وإنّما كانت اللغة السائدة فى عصرهما هى الآرامية ذات اللسان العربى . والموجود بالعبرية التوراتية هو يوحَانا بنون مُخفّفة وليس

يوحنان كما قالوا ..!!

ولنبدأ دراستنا لصاحب الإسم يَحْيَى من البداية ، أى منذ بداية قصّة الحملْ به وولادته حسب ما ورد فى إنجيل لوقا الحالى ، ثمَّ أذكر التعقيب القرآنى المُذهل والمُهيمن على مسرح الأحداث الكتابية كافة ، يُعيّن ويُفصّل ويُسَدِّد ويكشفْ عن المجهول .

أولا .. القصَّة الإنجيلية

جاء فى إنجيل لوقا من الإصحاح الأول قول كاتبه : " كان فى زمن هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريًّا من فرقة أبيًّا . وزوجته من نسل هارون واسمها أليصابات . **وكان كلاهما بارَّين أمام الله** (του θεου الثيون) [١] . يسلكان وفقا لوصايا الرَّب وأحكامه كلها بغير لوْم . ولكن لم يكن لهما ولد ، **إذ كانت أليصابات عاقرا وكلاهما قد تقدَّما فى السِّن كثيرا** . وبينما كان زكريا يؤدِّى خدمته الكهنوتية أمام الله (του θεου الثيون) فى دور فرقته ، وقعت عليه القرعة التى ألقيت حسب عادة الكهنوت ليدخل هيكل الرَّب (του κυριου الكريون) [١] ويُحْرِق البخور . وكان جمهور الشعب جميعا يُصلُّون خارجا فى وقت إحراق البخور . فظهر له ملاك من

(١) .. ما بين القوسين الأصل اليونانى لاسم الإله المعبود .

عند الرّب (κυριου كيريون) واقفا عن يمين مذبح البخور . فاضطرب زكريّا لمّا رآه واستولى عليه الخوف . فقال له الملاك : لا تخف يا زكريّا . لأنّ طِلبتك قد سُمِعت وزوجتك أليصابات ستلد لك ابنا وأنت تُسمّيه يوحنّا (يوحنّى Ιωαννην بنون مُشدّدة ومكسورة ، وفى بعض النسخ يُكتب يوحَنِى Ιωανην بنون مُخففة ومكسورة أيضا) [١] . ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته . وسوف يكون عظيما أمام الرّب (κυριου كيريون) ، ولا يشرب خمرا ولا مُسْكرا ويمتلىء بالروح القدس وهو بعد فى بطن أمّه . ويردُّ كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرّب إلههم (ον τον θεον αυτωνκυρι) . [فيتقدّم أمامه وله روح إيليّا وقدرته . ليرد قلوب الآباء إلى الأولاد والعصاة إلى حكمة الأبرار] . ليهيء للرّب (κυριου كيريون) شعبا مُعَدًّا . فسأل زكريا الملاك : بم يتأكد لى هذا فأنا شيخ كبير وزوجتى مُتقدّمة فى السِّن ..!؟ . فأجابه الملاك أنا جبريل الواقف أمام الله (τον θεου الثيون) ، وقد أرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا . وها أنت ستبقى صامتا لا تستطيع الكلام إلى اليوم الذى يحدث فيه هذا . لأنك لم تصدِّق كلامى وهو سيتم فى حينه .

وكان الشعب منتظرين زكريا وهم متعجبون من تأخره داخل الهيكل . ولكنه لمّا خرج لم يقدر أن يكلمهم ، فأدركوا أنّه رأى رؤيا

---

(١) .. راجع كتاب (Greek-English New Testament Interlinear) . وجميع الكلمات اليونانية مأخوذة من ذلك الكتاب .

داخل الهيكل ، فأخذ يُشير لهم وظلّ أخرس (ϛκωφο) . ولمّا أتم أيّام خدمته رجع إلى بيته . وبعد تلك الأيّام حبلت أليصابات زوجته ، فكتمت أمرها خمسة أشهر قائلة : هكذا فعل الرّب (ϛο κυριο الكيريوس) بى فى الأيّام التى فيها نظر إلىّ لينزع عنّى العار من بين الناس (إنجيل لوقا ١ : ٥ - ٢٥) .

" وأمّا أليصابات فتمّ زمانها لتلد فولدت ابنا . وسمع جيرانها وأقاربها أنّ الرّب (ϛκυριο كيريوس) أفاض رحمته عليها ففرحوا معها . وفى اليوم الثامن حضروا ليختنوا الولد ، وكادوا يُسمونه زكريّا على اسم أبيه . ولكنّ أمّهُ قالت : لا .. بل يُسمّى يوحنّا (ϛΙωαννη وأحيانا يُكتب ϛΙωανη بدون تكرار حرف ν اليونانى) . فقالوا لها : " ليس فى عشيرتك أحد تسمّى بهذا الاسم " وأشاروا لأبيه ، ماذا يُريد أن يُسمّى . فطلب لوحا وكتب فيه " اسمه يوحنّا ϛΙωαννη " فتعجبوا جميعا . وانفتح فمُ زكريّا فى الحال وانطلق لسانه فتكلم مُباركا الله (τον θεον الثيون) (إنجيل لوقا ١ : ٥٧ - ٦٤) .

قلت جمال : قرّائى الأعزّاء . لقد نقل لوقا هذه النصوص من مصادر قديمة لم يذكرها لنا ، حيث قال فى إفتتاحية إنجيله : " لمّا كان كثيرون قد أقدموا على تدوين قِصّة فى الأحداث التى تمت .... رأيت أنا أيضا بعدما تفحّصت كل شىء من الأول تفحُّصا دقيقا أن أكتب ... " ثم

ذكر قصّة زكريا وزوجه السابقة . فالأمر هنا ليس إلهاما أو كلاما منزلا من عند الله ، وإنما هو إجتهاد من لوقا فى تحرى حقيقة ما حدث فكتب ما وجده صوابا فى رأيه نقلا من قصص الكثيرين .

وليعلم القارىء بأنّى قد كتبت هنا الكلمتين اليونانيتين المترجمتين إلى الله والرّب وهما على التوالى ثيوس وكيريوس كما هو مُسجّل فى الأصول اليونانية للأناجيل ، فالأولى اسم لإله اليونان الأعظم ثيوس أو زيوس حسب دقة التصويت اللغوى والثانية صفة وليست باسم وهى بمعنى سيد وشريف وربّ . حتى لا يظن القارىء أنّ الأصل اليونانى فيه اسم الجلالة الله سبحانه وتعالى . مع أنّ الاسم الآرامى الله هو الذى كان سائدا فى فلسطين فى ذلك العصر كما بيّنت ذلك فى كتابى " معالم أساسية فى الديانة المسيحية ". وأمّا باقى الكلمات اليونانية فسيتم الكلام عنها فى ثنايا هذا الكتاب بإذن الله تعالى .

وعناصر القصّة الإنجيلية كالآتى :

أولا : كان الزوجان زكريّا وأليصابات متقدمان فى السّن كثيرا ، وأنّ أليصابات كانت عاقرا . وكان كلاهما بارّين أمام الله ، يسلكان وفقا لوصايا الرّب وأحكامه كلها بغير لوْم .

ثانيا : كان لزكريّا طِلبة من الله تعالى يطلبها ، ألا وهى الولد .

ثالثا : استجاب الله لطِلبة عبده زكريا ، فأرسل الملاك جبريل بالبشارة

وقال له تُسميَّةُ (يوحنَّى Ιωαννην وأحيانا يُكتب يوحنى بدون تشديد النون Ιωανην) .

رابعا : لم يُصدِّق زكريًا بشارة الملاك جبريل ، فما كان من جبريل إلا أن عاقبه بجعله أخرسا (ςκωφο) فلا يستطيع الكلام منذ تلك اللحظة وإلى أن يتم حمل اليصابات ويحين موعد ولادة الابن وتسميته فى اليوم الثامن من ولادته .

خامسا : عند تسمية المولود بذلك الإسم (**يوحنَّى أو يوحَنِى**) **تعجَّب** الناس من ذلك الإسم وقالوا : " **ليس فى عشيرتك أحد تسمَّى بهذا الاسم** " . لأنَّ هذا الاسم كان غريبا وجديدا على الأسماع حينذاك .

تلك هى عناصر القصَّة الخمسة الإنجيلية اللوقية ، والتى سيتم الكلام عنها تفصيلا من خلال الشرح القرآنى للقصَّة . لتكون تذكرة للمؤمنين بكتابهم ولزيادة اليقين عند المسلمين .

ثانيا : القصَّة القرآنية

ذكِرت القصَّة القرآنية تفصيلا فى سورتى آل عمران ومريم . وفى سورة الأنبياء جاء تبيان حال زكريًا وزوجه ، وطلِبة زكريًا عليه السلام من الله تعالى . وسوف أذكر النصوص حسب ترتيب ورودها فى المصحف الشريف .

قال تعالى فى آل عمران (٣٣ ـ ٤١) :

﴿ إنَّ اللهَ اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين . ذرِّيَّة بعضها مِن بعض ، واللهُ سميع عليم . إذ قالت امرأت عمران ربِّ إنّى نذرت لك ما فى بطنى مُحرَّرًا فتقبل مِنّى إنّك أنت السميع العليم . فلمَّا وضعتها قالت ربِّ إنّى وضعتها أنثى ، واللهُ أعلمُ بما وضعت ، وليس الذكرُ كالأنثى . وإنّى سمَّيتها مَرْيمَ وإنّى أعيذها بك وذرِّيتها مِنَ الشيطان الرَّجيم . فتقبَّلها ربُّها بقبولٍ حَسَنٍ وأنبتها نباتا حَسَنا ، وكفَّلها زكريّا . كلّما دخل عليها زكريَّا المِحْرابَ وَجَدَ عندها رزقا ، قال يا مَرْيمُ أنّى لكِ هذا . قالت هو من عند اللهِ ، إنَّ اللهَ يرزقُ مَن يشاء بغير حِسابٍ . **هنالك دَعَا زكريَّا ربَّهُ** قال رَبِّ هَبْ لى مِن لَدُنكَ ذرية طيِّبة ، إنّكَ سَميعُ الدُّعَاء . **فنادته الملائكة وهُوَ قائِمٌ يُصلّى فى المِحْرابِ** أنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بيَحْيَى مُصَدِّقا بكلمةٍ مِنَ اللهِ وسيِّدا وحَصُورا ونبيًّا مِنَ الصَّالحين . قال رَبِّ أنّى يكونُ لى غلامٌ وقد بلغنى الكِبَرُ وامرأتى عاقِرٌ ، قال كذلك اللهُ يفعلُ ما يشاءُ . **قال رَبِّ اجعل لى آية** ، قال آيتكَ ألاّ تُكلّمَ النّاسَ ثلاثة أيّامٍ إلاّ رَمزًا ، واذكر ربّكَ كثيرًا وسبّحْ بالعشىِّ والإبكار ﴾ .

وقال تعالى فى سورة مريم (١ ـ ١٥) :

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ ربّكَ عَبده زكريَّا . إذ نادى ربَّهُ نِداءً خفيًّا . قال ربِّ إنّى وَهَنَ العَظمُ مِنّى واشتعل الرَّأسُ شيبا ولم أكنْ بدُعائكَ ربِّ شقيًّا . وإنّى

خِفتُ الموَالىَ مِن ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهَبْ لى مِن لدُنك وَليًّا . يرثنى ويرث مِن آل يعقوب ، واجعله ربِّ رضيًّا . يا زكريَّا إنَّا نبشّرُكَ بغلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لم نجعل لهُ مِن قبلُ سَمِيًّا . قال ربِّ أنَّى يكونُ لى غلامٌ وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا . قال كذلِكَ قال ربُّكَ هُوَ علَىَّ هَيِّنٌ وقد خلقتك مِن قبلُ ولم تكُ شيئا . قال ربِّ اجعل لى آية ، قال آيتكَ ألاَّ تُكلّمَ الناسَ ثلاثَ ليالٍ سَوِيًّا . فخرج على قومهِ مِنَ المِحْرابِ فأوحى إليهم أن سبّحوا بُكرة وعَشِيًّا . يا يَحْيَى خذِ الكتابَ بقوَّةٍ وآتيناهُ الحُكْمَ صَبِيًّا . وحَنانا مِن لدُنَّا وزكاةً ، وكان تقيًّا . وَبَرًّا بوالديهِ ولم يكن جبارا عَصيًّا . وسلامٌ عليهِ يومَ وُلِدَ ويومَ يموتُ ويومَ يُبعَثُ حيًّا ﴾ .

وقال تعالى فى سورة الأنبياء (٨٩ ـ ٩٠) :

﴿ وزكريَّا إذ نادَى ربَّهُ ربِّ لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين . فاستجبنا له ووهبنا له يَحْيَى وأصلحنا لهُ زوجَهُ ، إنَّهم كانوا يُسارعون فى الخيراتِ ويدعوننا رغبا ورَهَبا ، وكانوا لنا خاشعين ﴾ .

قلت جمال : وهذه النصوص القرآنية لم يجمعها إنسان من قصص السابقين كما فعل لوقا فى إنجيله أو كما يزعم المستشرقين ، ولكنها تنزيل من رب العالمين . تنزيل ممن يعلمُ السِّر وأخفى وبما همَّت به الجوارح ولم تفعله . فمعظم المعلومات القرآنية جديدة ، فيها التصحيح والهيمنة على نصوص السابقين .

وتتلخص عناصر القصَّة القرآنية فيما هوَ آت :

أولا : الزوجان زكريًّا وامرأته كان حالهما لا يُرتجى منه أن يُنجبا الولد . فزكريًّا طاعن فى السِّن بلغ مِنَ العمر عِتِيًّا ، أى انطفأت عندة آلة الشهوة ، ووَهَنَ العَظمُ مِنهُ واشتعل رأسَهُ شيبا . إضافة إلى أنَّ امرأته كانت عاقرا .

ثانيا : كانت ثقة زكريًّا فى ربِّهِ بغير حدود فكان دائم الدُّعَاء . يتخيَّر أحسن الكلام وأنسب الأوقات وأفضل الأماكن ليدعو ربَّه . فمن أقواله : ﴿ ربِّ إنِّى وَهَنَ العَظمُ مِنِّى واشتعل الرَّأسُ شيبا ولم أكنْ بدُعائكَ ربِّ شقيًّا . وإنِّى خِفتُ الموَالىَ مِن ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهَبْ لى من لدُنك وَليًّا يرثنى ويرث مِن آل يعقوب ، واجعله ربِّ رضيًّا ﴾ . وقوله ﴿ ربِّ لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين ﴾ .

وعندما حان **الوقت** المناسب فى **المكان** المُناسب سارع زكريًّا بدعاء ربِّه ليغتنم نفحة مِن نفحات ربِّه . فعندما دخل زكريًّا المِحْرابَ وَوَجَدَ عند مريم رزقا مِن الله فى غير أوانه وقال لها يا مَرْيَمُ أنَّى لكِ هذا ..!!؟ فأجابته بقولها هو مِن عند اللهِ ، إنَّ اللهَ يرزقُ مَن يشاء بغير حِسابٍ . **هنالك** فى ذلك المكان الطاهر وفى ذلك التوقيت المُحَدَّد سارع زكريًّا **باستجداء ربِّهِ بدعاءٍ حار ليرزقه مِن رزق الله اللَدُنّى ذاك الذى بغير حساب فقال :** ﴿ رَبِّ هَبْ لى مِن لَدُنكَ ذرية طيِّبة ، إنَّكَ سَميعُ الدُّعَاء ﴾ .

وقد أعلمنا الله تعالى فى سورة الأنبياء أنَّ زكريًا وزوجه كانا مِنَ الذين يُسارعون فى الخيراتِ ويدعون الله رغبا ورَهَبا وكانوا له خاشعين .

ثالثا : استجاب الله لدعاء عبده زكريًا . فأصلحَ له زوجه وأصبحت قابلة للإنجاب مِن بعد عقرها . ثمَّ بشَّرتهُ الملائكة بغلام اسْمُهُ **يَحْيَى لم يجعل اللهِ لهُ مِن قبلُ سَمِيًا** . فلم يتسم به أحد مِن قبل كما سيأتى بحثه بإذن الله تعالى .

رابعا : وإذا ما جاء الكرم الإلهى اللدنّى الذى بغير حساب تحيَّر الإنسان ودُهِشَ مِن فضل ربِّهِ عليه . فقال زكريا : ﴿ رَبِّ أنَّى يكونُ لى غلامٌ وقد بلغنى الكِبَرُ وامرأتى عاقِرٌ ..!؟ قال كذلك ، اللهُ يفعلُ ما يشاءُ . قال رَبِّ اجعل لى آية . قال آيتكَ ألاَّ تُكلّمَ النّاسَ ثلاثة أيَّام إلاَّ رَمزًا ، واذكر ربَّكَ كثيرًا وسبِّحْ بالعشىِّ والإبكار ﴾ . وقال أيضا : ﴿ ربِّ أنَّى يكونُ لى غلامٌ وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا . قال كذلِكَ قال ربُّكَ هُوَ علىَّ هَيِّنٌ وقد خلقتك مِن قبلُ ولم تكُ شيئا . قال ربِّ اجعل لى آية . قال آيتكَ ألاَّ تُكلّمَ الناسَ ثلاثَ ليالٍ سَوِيًّا . فخرج على قومهِ مِنَ المحْرابِ فأوحى إليهم أن سبِّحوا بُكرة وعَشِيًّا ﴾ .

فسأل زكريًا ربَّهُ أن يُعطيَهُ آية وعلامة ، فكانت العلامة ألاَّ يكلم الناس لمدة ثلاثة أيّام أو ثلاث ليال سَوِيًّا (وهما فى التوقيت متساويان) . فالعلامة هنا خير وكرامة مِنَ الله على عبده ، وليست بعقوبة الخرس

(ϛκωφο) مِن جبريل على زكريًا ولمدة تزيد عن تسعة أشهر كاملة كما بيَّنَ لوقا فى إنجيله .

خامسا : كانت علامة حمل زوج زكريًا أن ينعقد لسان زكريًا لمدة ثلاثة أيام فلا يستطيع الكلام مع الناس إلا رمزا . مع استمرار نطقه بذكر اللهِ كثيرا وتسبيحه بالعشيِّ والإبكار . فلم يُخرسه الله عن الكلام مُطلقا كما يتوهم قليلى التفكير والإيمان مِنَ الناس . هذا هو مُجمل الكلام عن العلامة التى سألها زكريًا مِن ربّه حسب السياق القرآنى للأحداث ووفق ترتيب المصحف .

ثمَّ جاء تفصيلها فى سورة مريم بألا يُكلم الناس ثلاثَ ليالٍ سَوِيًا . والثلاث ليالى السَّوِيَّة هى ثلاث ليال كاملة بأيَّامهن . فلم يقلْ تعالى ثلاث ليال فقط حتى لا يتعارض ذلك مع قوله تعالى فى آل عمران ثلاثة أيَّام . فالليلة تسبق اليوم فى التقويمين العربى والعبرى ، فيبدأ اليوم مِن مغرب الشمس وينتهى إلى مغرب الشمس ، خلاف الليلة التى هى الليل فقط مِنَ المغرب إلى الفجر . فالثلاث ليال فقط تحتوى على نهارين فقط خلاف الثلاث ليال السَّوِيَّة التى تساوى تماما ثلاثة أيام كاملة .

ثم بيَّن تعالى لزكريًا كيف يُكلمُ الناس فى تلك الفترة المنعقد فيها لسانه إلا مِن ذكر الله ، فقال تعالى ﴿ فخرج على قومهِ مِنَ المِحْرابِ فأوحى إليهم أن سبِّحوا بُكرة وعَشيًا ﴾ . والوحى هنا هو إلقاء المعنى إلى

الناس بطريقة الإشارة وما شابه ذلك من طرق يعرفها أهل الاختصاص فى تعليم البكم وإن كان الأمر هنا مُختلفا . فالمُعلّم هنا لا يستطيع الكلام العادى مع تلاميذه ، والتلاميذ يسمعون ويتكلمون فكيف يفهمون مراد استاذهم ..!؟ فأقول بأنّ المُعلّم هنا يمكنه فقط أن يتكلم بذكر الله وتسبيحه . كما يمكنه أن يستخدم وسيلة الإشارة فى توصيل مراده إلى تلاميذه . وهذا كله يدخل فى معنى قوله تعالى ﴿ إلا رمزا ﴾ فى سورة آل عمران . فأشار إليهم أن يُسبّحوا اللهَ بُكرة وعَشيًا فيقولوا كما يقول . وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿ **فأوحى إليهم أن سبّحوا بُكرة وعَشِيًا** ﴾ فى سورة مريم .

ولى هنا وقفة تأملية فى دلالة حرف الفاء هنا من قوله تعالى ﴿ فخرج ... فأوحى إليهم ﴾ . فالفاء تدل هنا على تحقق وقوع الآية والعلامة التى سألها فى المِحْرَاب . فخرج حين ذاك على قومه من المِحْرَاب ولسانه منعقدا إلا من ذكر الله وتسبيحه . فأوحى إلى قومه بلغة الرمز أن يُسبّحوا الله بُكرة وعَشيًا . ومن غير المعقول أن تبدأ الآية من قبل أن يُفضِى زكريًا إلى زوجه ومن ثمَّ يَحدث الحَمْل . ومن غير المعقول أيضا أن يحدث الحمل بدون مباشرة جنسية ، لأنَّ هذا يؤدى إلى إهمال قوله تعالى ﴿ وأصلحنا له زوجه ﴾ . فكيف حَمَلت زوج زكريًا وهى فى منزلها بدون نطفة منه ..!!؟

فأقول ومن الله السداد والتوفيق : لقد بيَّن تعالى فى سورة الأنبياء أنَّ الله قد أصلح له زوجه ، ولاحظ هنا كلمة زوجه بعد أن أصلحها الله من

آفة العقر ، ولم يقل وأصلحنا له امرأته . فلفظة امرأة فيها دلالة النقص خلاف الزوج . فامرأة نوح وامرأة لوط كان زوجاهما مؤمنين صالحين فخانتاهما . وامرأة فرعون كانت مؤمنة ولكن زوجها كان رأسا فى الكفر عظيما . وامرأة عمران عقب حملها توفى عنها زوجها . فدلالة النقص هنا فى اكتمال العلاقة الزوجية بين الإثنين . ومن هذا الباب كانت امرأة زكريًا حيث كانت عاقرا فى أول أمرها ، فلما تم إصلاحها أشير إليها بكلمة زوجه فى قوله تعالى ﴿ وأصلحنا لهُ زوجَهُ ﴾ .

ونرجع سريعا إلى الإجابة عن السؤال المطروح .

لقد تمَّ إصلاح زوج زكريًّا حسب سياق آيات سورة الأنبياء مِن قبل أن يذهب إلى مريم فى المِحْرَاب ، فقد تكرر دعاء زكريًّا لربه وتغيرت كلمات أدعيته . فتارة يقول ﴿ ربِّ لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين ﴾ . وتارة يقول ﴿ رَبِّ هَبْ لى مِن لَدُنكَ ذرية طيِّبة ، إنَّكَ سَميعُ الدُّعَاء ﴾ . وتارة يقول ﴿ ربِّ إنّى وَهَنَ العَظمُ مِنّى واشتعل الرَّأسُ شيبا ولم أكنْ بدُعائكَ ربِّ شقيًا وإنّى خِفتُ الموَالىَ مِن ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهَبْ لى مِن لدُنك وَليًّا . يرثنى ويرث مِن آل يعقوب واجعله ربِّ رضيًا ﴾ . واستجاب الله لدعاء عبده . وتم إصلاح زوجه مِن آفة العقر ، كما رُفِع عن زكريًّا العتِىّ واشتغلت آلة الإنجاب عنده .

وتمت المباشرة الزوجية فى منزل زكريًا ، ولكن أمر الله بالإنجاب لم يتحقق بعد . ونحن نعلم أنَّ الحيوان المنوى يمكث حيًّا فى رحم المرأة لفترة ما ربما بالساعات . وعندما ذهب زكريًا إلى مريم فى المِحْرَاب ووجد عندها رزقا من الله لم يأت به أحد من البشر . وسألها زكريًا ﴿ يا مَرْيَمُ أنَّى لكِ هذا ، قالت هو مِن عند اللهِ ، إنَّ اللهَ يرزقُ مَن يشاء بغير حِسابٍ . هنالك دَعَا زكريًا رَبَّهُ ، قال رَبِّ هَبْ لى من لَدُنكَ ذرية طيِّبة إنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء . فنادته الملائكةُ وهُوَ قائِمٌ يُصلِّى فى المِحْرابِ أنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بيَحْيَى مُصَدِّقا بكلمةٍ مِنَ اللهِ وسيِّدا وحَصُورا ونبيًّا مِنَ الصَّالحين ﴾ . فهذا رزق من اللهِ لمريم ، وذاك رزق آخر لزكريًا مِنَ الله بشَّرته به الملائكة وهو قائم يُصلى فى المِحْرَاب . فالبشرى بالحمل جاءته فى أثناء الصلاة بالمِحْرَاب ولم يتم الحمل من بعد أن أنهى زكريًا مدة خدمته كما نقل لوقا فى إنجيله .

اللهم ارزقنى رزقا من لدنك يناسب حالى آمين .

سادسا : أمَّا عن الصِّفات الشخصية ليَحْيَى فقد بينها تعالى فى قوله تعالى ﴿ يا يَحْيَى خذِ الكتابَ بقوَّةٍ وآتيناهُ الحُكْمَ صَبيًّا . وحَنانا مِن لدُنَّا وزكاةً وكان تقيًّا . وبَرًّا بوالديهِ ولم يكن جبارا عَصيًّا ﴾ . فآتاه الله الحكم أى الفهم والفصل فى القول وهو صبىّ ، والكتاب هنا هو التوراة <u>وكل ما يؤدى إلى العلم</u> . كما آتاه الله الحنان اللدنى وأكثر ، كما كان تقيًّا للهِ ، وبارًّا بوالديه

مُطيعا لهما .

قارئى العزيز تأمل جيدا فى قوله تعالى ﴿ وحَنانا من لدُنَّا وزكاةً ﴾ ففيه معنى (يوحانان) العبرى و (يوحنّى) اليونانى . كما سيأتى قريبا عند الكلام عن الاسم العربى والآرامى يَحْيَى . وأنّه عليه السلام كان ﴿ مُصدّقا بكلمةٍ مِنَ اللهِ وسيِّدا وحَصُورا ونبيّا مِنَ الصّالحين ﴾ وكل تلك صفات تصْدُق على شخص يَحْيَى واسمه كما سيأتى . فجاء يَحْيَى مُصَدِّقا لعيسى المُشار إليه فى الآية ﴿ بكلمةٍ مِنَ اللهِ ﴾ والمُصَدَّقُ به هو عيسى ابن مريم عليه السلام . فتلك بشارة بالمسيح عليه السلام لزكريّا مِن قبل أن تأتى البشارة عنه إلى مريم .

ثمَّ ختم الله سبحانه وتعالى الكلام عن يَحْيَى بقوله : ﴿ وسلامٌ عليهِ يومَ وُلِدَ ويومَ يموتُ ويومَ يُبعَثُ حيًّا ﴾ . والكلام هنا يحتاج إلى فهم أكثر لمعانى الكلمات كما يحتاج إلى نبذ التقاليد البالية وأقوال وحكايات الناس .

فلولا تسجيل لوقا اليونانى لقصص الأولين لما عرف الناس حكاية زكريّا وزوجه وولادة يَحْيَى العجيبة . ولولا القرآن الكريم لما عرف الناس تفاصيل القصّة الرّبّانية . فاليهود لم يُسجّلوا شيئا يُذكر عن تلك الولادة العجيبة لنبيِّهم يَحْيَى بن زكريّا عليه السلام . فلنطرح حكاية يَحْيَى وسالومى جانبا ولننظر إلى النصّ القرآنى وحده .

إنَّ أى كلمة فى لغات اللسان العربى القديمة يوجد فيها الحروف الثلاثة (س ل مـ) يكون فيها معنى السلامة والأمان والنقص من العيوب

والأضرار . والقتل مناف للسلامة . فما بالكم إذا قال الله لكم عن يَحْيَى :
وسلام عليه يوم يموت ..!! قطعا سيموت بسلام وأمان حين يُستوفى أجله
كما يموت معظم الناس بدون تدخل من البشر لإزهاق روحه . فهو عليه السلام قد
حُمِلَ به فى بطن أمّهِ بسلام وأمان إلى أن تم مولده بسلام وأمان . وسوف
يعيش (يَحْيَا) بسلام وأمان إلى أن يستوفى أجله فيموت بدون قتل أو
إزهاق روحه بأى طريقة كانت . وسوف يُبعث حيًّا بسلام وأمان فلن يخيفه
يوم البعث كما يخيف سائر الخلق .
ذلك هو يَحْيَى بن زكريًّا عليهما السلام .

أيهما الاسم الصحيح :

يَحْيَى القرآنيّ أم يوحنّا الإنجيلى ..!!؟

==================

والآن جاء بحثنا عن الاسم القرآنى **يَحْيَى** ، من أى لغة جاء ، ومن أى مصدر قديم نقله مُحَمَّد ﷺ كما يزعم المستشرقون ومعهم مسيحيو العالم أجمع ..!! فهم لا يؤمنون بالتنزيل القرآنى ، وأنّ القرآن الكريم كتاب الله للعالمين أوحِيَ به إلى رسول الله مُحَمَّد ﷺ .

قال تعالى فى سورة مريم ﴿ **يا زكريَّا إنّا نبشّرُكَ بغلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لم نجعل لهُ مِن قبلُ سَمِيًّا** ﴾ . فالبشارة لم تأت بالاسم **يَحْيَى** فقط وإنّما فيها الإشارة إلى أنّ ذلك الاسم لم يتسم به أحد مِن قبل . وذلك إعلام وتحدى فى آن واحد لأهل الكتاب مسيحيين ويهود . وذلك فعل مَن لم ينقل عن أحد مِن البشر صدقوا أم كذبوا . فقال المسيحيون زعما مِن عندهم أنّ الاسم هو يوحنّا وليس يَحْيَى ، وأنهم أعلم بكتابهم وأسماء رجالهم ، مع أنّ الاسم المُسَجّل عندهم فى الأصول اليونانية ليس يوحنّا . ولقد كتبوه فى الترجمات العبرية يوحنان (Johanan) وفى العبرية الجديدة نجده يوخانان و يوخانون بالخاء ..!! وهذا الأمر هو الذى دعانى لكتابة ذلك البحث والكشف عن حقيقة الاسم وبعضا مِن سيرة صاحبه عليه السلام . مع أنّه لا توجد وثيقة عبرية ترجع إلى عصر يَحْيَى حتى نحتكم إليها فى صحّة الاسم العبرى .

وليس في أسفار العهد القديم ذكرا لابن زكريَّا عليه السلام .

معروف أنَّ كثيرا من مشاهير الناس لهم ألقاب اشتهروا بها بجانب أسمائهم الشخصية . فاللقب شيء والاسم شيء آخر ، وقد يذكر الاسم مع اللقب في آن واحد أو الاسم مع صفة صاحبه أو عمله ، كما قالوا في الأناجيل يوسف النجّار أي أنَّ اسمه يوسف وأنهُ نجّارا . وكما قالوا **يوحنًا المعمدان** أي **يوحنًا المغسِّلاتي** أو **يوحنًّا المغسِّل** أي الذي يقوم بإجراء عملية تعميد الناس بالغسل في مياه نهر الأردن ، أي بتغطيسهم فيه . فالاسم عندهم يوحنّا وصفته الإنجيلية أنّه مغسّلاتي أو مغطّساتي ..!! وسوف نرى بعد قليل أنَّ أتباعه عُرفوا في التاريخ القديم والحديث تحت اسم **المُغتسلة** . الذين يغطسون أو يُتغطّسون في الماء الجاري طلبا للطهارة والتوبة ، ومن هذا المعنى جاء **عيد الغطاس** الذي يحتفل به إخواننا المسيحيون ، وهو عيد ابتدع في مصر أولا ، أخذ عن أتباع يَحْيَى عليه السلام وليس عن أتباع المسيح عليه السلام الذين كانوا يتعمَّدون باسم المسيح وليس بالغسل في الماء الجاري . فعيد الغطاس لم يفعله تلاميذ المسيح أو أتباعه الأول . ولا أصل له في موطن المسيح عليه السلام في فلسطين ، ثمَّ انتشر ذلك العيد من مصر إلى باقي البلاد المسيحية . وكانوا يحتفلون به مع عيد الميلاد في توقيت واحد إلى مطلع القرن السادس الميلادي حيث انفصل العيدان عن بعضهما .

وفى الأناجيل نجد يَحْيَى عليه السلام يوصف بأوصاف أجلّ وأفضل مِن صفة المغسّل فهو عليه السلام عظيما أمام الرَّب لم تلد النساء أعظم منه ، لا يشرب خمرا ولا مُسْكرا . يَرُدُّ كثيرين مِن بنى إسرائيل إلى الرَّب إلههم فكان يناديهم بالتوبة والرجوع إلى الله . ويَرُدُّ قلوب الآباء إلى الأولاد والعصاة إلى حكمة الأبرار . وأمور أخرى كثيرة كانت مِن خصائص صلب دعوته .

أمّا فى القرآن الكريم ففيه شىء آخر . فالاسم **يَحْيَى** لم يتسمَّ به أحد مِن قبل ابن زكريَّا ، وصفته أنَّه **سيِّدا وحصورا ونبيًّا مِن الصَّالحين** . آتاه الله منذ صغره الحكم وفصل الخطاب ، فرزقه الله الإقبال على معرفة علوم الشريعة والقضاء بين الناس وهو صبى صغير ، كما آتاه الله حنانه اللدنّى ﴿ **وحَنَانا مِن لدُنَّا وزكاةً** ﴾ مثلما آتى عبده الخضر علمه اللدنّى . وتلك صفات ترنوا إليها الأنظار وتشرئب إليها الأعناق .

ولندرس الآن الاسم القرآنى **يَحْيَى** :

يَحْيَى مضارع مفرد مذكر مبني للغائب ، جذره اللغوى إمَّا (ح ى ى) من الحياة نقيض الموت . وإمَّا (ح ى ا) مِن الحياء بمعنى الاحتشام والخجل . وإمَّا (ح ى و) بمعنى الانقباض والانزواء ومنه الحيَّة أى الأفعى التى تنقبض وتتلوى .

مِنَ المعلوم أنَّ الأسماء إن كانت إلهية أى بأمر مِن الله تعالى فإنَّ لها دلالة تصديقية على سلوكيات أصحابها النفسية والفعلية فتظهر

معانيها عليهم . وقد سبق الكلام فى كتبى السابقة على ذلك الأمر عند شرح معنى الاسم (المسيح عيسى ابن مريم) فى ثلاثة أبحاث كبيرة .

فالمعنى الأول : يكون الاسم يَحْيَى بمعنى يعيش ، فعل مُضارع متجدد . فإن قال الله عنه يعيش فإن صاحب ذلك الاسم سوف يعيش ولن يقتله أحد حتى يستوفى أجله . وليس معناه أنه يعيش الدهر أبدا لتعارضه مع سنة الله الكونية السارية فى عباده ، وهذا المعنى نجده فى قوله تعالى ﴿ وسلامٌ عليهِ يومَ وُلِدَ ويومَ يموتُ ويومَ يُبعَثُ حيًّا ﴾ كما سبق الكلام عليه . ومن الأمور الغريبة ألا يُعرف له قبرا فى فلسطين ، لا بين اليهود ولا بين المسيحيين ولا بين أتباعه .

والمعنى الثانى : يكون معنى الاسم يَحْيَى بمعنى الذى يستحى حَياءً على أصله . أى أنَّ له قدرة فائقة على الاحتشام والاستحياء عن فعل المنكرات . وهذا المعنى نجد تصديقه فى قوله تعالى ﴿ سيِّدا وحصورا ﴾ . والسيِّد الحصور هو الذى يَكُفُّ نفسه عن شهوة النساء مع وجود القدرة على إتيان ذلك الأمر . وليس هو بالحصور العنين ذى الآفة التى تمنعه من شهوة النساء . فهو يَحْيَى الذى يَحْيا حياءً وعِفّةً واحتشاما ، خلاف العنين الذى لا يجد شهوة أصلا حتى يَحْيا ويستعف ويحتشم . والأنبياء مُبرئون أصلا من أن تكون بهم آفة خلقية أو نفسية تشريفا لهم وتفضيلا على سائر الناس .

والمعنى الثالث : حيث يكون فيه معنى الاسم يَحْيَى بمعنى الذى

يبتعد وينزوى عن الناس . وقصته المذكورة فى الأناجيل تشير إلى أنه سكن فى البرية يلبس ثيابا من وبر الجمال ويلف وسطه بحزام من جلد ويقتات الجراد والعسل البرىّ [1] . فسكن يَحْيَى فى الصحراء بعيدا عن العمران كما تنزوى الحيَّات بعيدا عن الناس .

فتطابقت المعانى الثلاث على الاسم يَحْيَى لغة ونصًّا . فهو ليس إرتجالا أو نقلا من مصادر قديمة كما يزعمون . ولكنه اسم قرآنى ذكره الله تعالى فى قرآنه ، وجاءت به بشرى الملائكة إلى زكريًّا عليه السلام .

وأمَّا عن قوله تعالى ﴿ **اسْمُهُ يَحْيَى لم نجعل لهُ مِن قبلُ سَمِيًّا** ﴾ . فتصديقه نجده فى إنجيل لوقا مِن قول أقارب زكريًّا وزوجه : " **ليس فى عشيرتك أحد تسمَّى بهذا الاسم** " . فأكَّدوا على عدم سبق ذكر ذلك الاسم فى عشيرة زكريًّا وزوجه ، أى لم يتسم أحد بهذا الاسم مِن قبل فى سبط لاوى ونسل هارون . فهم يتكلمون عن اسم لم يتسم به أحد مِن قبل ، خلاف الاسم (يوحنَّا) المذكور فى الترجمات العربية للإنجيل فهو مذكور فى أسفار العهد القديم كثيرا تحت مُسمَّى يوحانا و **يوحنان** و **يهوحانان** [2] ..!!

قارئى العزيز افتح معى سفر نحميا (١٢ : ٢٢ ـ ٢٣) على سبيل المثال واقرأ " وقد تمَّ تدوين أسماء رؤساء العشائر مِن كهنة ولاويين فى

---

(١) .. راجع كل مِن الأناجيل (متى ٣ : ١ ـ ٤ ؛ مرقس ١ : ٤ ـ ٦ ؛ لوقا ١ : ٨٠) .

(٢) .. لقد ذكر الاسم يوحنان أو يوحانان (حسب تصحيح النطق) كثيرا فى أسفار العهد القديم تحت رقم (٣١١٠) وصيغته الثانية يهوحنان تحت رقم (٣٠٧٦) .

سجل الأنساب فى حكم داريوس الفارسى فى أيّام ألياشيب ويويَاداع و يوحانان ويدوع . وكانت أسماء رؤساء عشائر اللاويين مُسجّلة فى سفر أخبار الأيام حتى زمان يوحانان بن أليشيب " . فهاهو الاسم مذكور فى أنساب عشيرة زكريّا الكهنة اللاويين .

فالاسم يوحنّا الذى يترجمونه فى العبرية إلى يوحنان تسمّى به الكثير من رجال بنى إسرائيل وخاصة الكهنة الذين من عشيرة زكريّا . فقطعا النصّ الإنجيلى يتكلم عن اسم آخر غير يوحنّا (يوحنان) يقينا .

فقوله تعالى عن الاسم يَحْيَى لم نجعل له من قبل سميًّا صحيح فلن تقع عليه الأعين فى كل أسفار العهد القديم . فمن أين جاءهم الاسم يوحنّا الذى كتبوه فى الأناجيل العربية والذى تسمّى به الكثيرين من رجال عشيرة زكريّا وزوجه ..!؟

إن نظرنا إلى أصله اليونانى المُدوّن فى الأناجيل اليونانية نجده مكتوبا بصيغتين هما (يُوحنّى Iωαννην) و (يُوحَنِى Iωανην) . والنون مكسورة فى الحالتين . أولاهما تأتى مُشدَّدة (بتكرار الحرف اليونانى νν) ، والثانية تأتى مُخففة (بدون تكرار ν) . وهذا خلاف الترجمة العربية يوحنّا حيث النون مفتوحة ومُشدّدة فى جميع الأحوال (راجع الكلمة تحت رقم ٢٤٩١ فى القواميس الكتابية اليونانية) .

وإذا ما تكلمنا عن الاشتقاق اللغوى لنتعرّف على أصل الكلمة ومعناها فلا بد من ذكر الجذور اللغوية . وكلمة يوحنّى يُمكن كتابتها هكذا (يو - حنّى) والمقطع الأول (يو) يُشير إلى مختصر كلمة يهوة أى الله فى العبرية ، وكلمة (حَنّى) جذرها (ح ن ن) من الحنان أى رقّة فى القلب ورأفة ورحمة . أى أنّ المعنى هو حنان الله أو حنان مِنَ الله . وليس معناه الله تحنن أو الله حنان كما قالوا لأننا نتكلم عن إنسان مخلوق تلك صفاته . وذلك المعنى حنان مِنَ الله هو المُعَبَّرُ عنه بالحنان اللدنّى فى صفة يَحْيَى من قوله تعالى ﴿ **حنانا من لدنّا** ﴾ . وعلى ذلك التخريج يكون يوحَنّى أو ترجمته العربية يوحَنّا صفة أو لقبا ليَحْيَى وليس باسم علم له ، لأنّ اسمه لم يتسم به أحد من قبل فى عشيرة زكريّا كما شهد الناس حسب قول إنجيل لوقا . و ﴿ لم نجعل له سَمِيًّا ﴾ حسب النصّ القرآنى .

أمّا الصيغة الثانية للاسم يوحنى فيمكن كتابتها أيضا هكذا (يو - حنِى) وكلمة يوحَنِى مأخوذة من الجذر اللغوى العبرى (ح ن ا) .

قال الأستاذ رؤوف أبو سعدة في كتابه القيم (من إعجاز القرآن جـ ٢ ص ٢٣٧) ما نصّه : " فى عبرية التوراة ، وفى العبرية المعاصرة ، وفى الآرامية أيضا ، الجذر (ح ن ا) غير مُشدَّد النون ، تقول منه عبريا وآراميا على سبيل المثال : " حنا عَلْ عير " و (عير يعنى المدينة) ، أى ضرَبَ عليها الحصار . فهو بمعنى حَصَرَهُ وصرّاهُ وضيّق عليه .

والمُشدَّد من هذا (أى زنة فعَّلَ العربى) هو حنَّى بكسر الحاء فى العبرية وبفتحها فى الآرامية التى غلبت على ألسنة الناس فى ربوع فلسطين منذ ما قبل عصر المسيح بثلاثة قرون على الأقل والمعنى هو : " شدَّد عليه الحصار " . وعلى هذا يكون معنى (يو - حنِى) فى العبرية هو الله أحْصَرَ بمعنى الذى أحْصَرَهُ الله ، فهو الحصور التى فى القرآن " انتهى النقل [١] .

قلت جمال : وفى الحالتين يوحنَّى بتشديد النون ويوحنى بدون تشديد نجد أنهما يُشيران إلى صفات يَحْيَى الحصور ذو الحنان اللدنّى وليس إلى اسمه العلم . وسوف أستكمل أدلتى على ذلك القول من أقوال أتباعه فى كل من العراق وإيران حسب لغتهم الآرامية القديمة التى لم تندثر من على ألسنتهم وكتاباتهم إلى الآن .

وإذا ما فتحنا أى قاموس كتابى لنقرأ الاسم المزعوم بالحرف العبرى فسوف نجده مرسوما هكذا (יוחנן) [٢] وحروفه بالمنطوق العربى حسب تشكيله فى العبرية هكذا (ى و حا نا و) فحرف الحاء مفتوح فتحة طويلة تستوجب ظهور حرف الألف بعده كما هو مكتوب أمامك ، وكذا حرف النون نجده مُخففا بفتحة طويلة تستوجب ظهور الألف بعده ثمَّ حرف

---

(١) .. وقال الأستاذ رؤوف : راجع المعجم (هملون هحداش لتناخ) عبرى / عبرى ، مادة (حنا) .
وقال أيضا : راجع هذا الوجه فى المعجم العبرى الآرامى لألفاظ التوراة ، المرجع المذكور .
شروح على تصاريف الأفعال فى صدر الكتاب ص ٢١ .

(٢) .. راجع الكلمة رقم (٣١١٠) فى القاموس العبرى - الكلدانى للكتاب المقدس المشهور بـ :
Gesenius Hebrew-Chaldee Lexicon to O-T

الواو اللازمة العبرية فى رفع آخر الكلمة فقراءة الاسم هو يوحانا بعد حذف اللازمة العبرية . وليس يوحنان كما قالوا ..!!

و يوحانا العبرى هو الحصور القرآنى . وهو يوحنِى اليونانية . كما أنَّ الأسماء المُشدَّد فيها حرف النون مثل يوحنان العبرى و يوحنّى اليونانى و يوحنَّا المُترجم إلى العربية فيهم معنى الحنان ، أى الذى آتاه الله حنانه اللدنّى .

وكل هذه الأسماء ليس فيها الاسم العلم الشخصى لابن زكريَّا عليه السلام وإنَّما هى ألقاب وصفات . كما يلاحظ أنَّ اللقب العبرى التوراتى المزعوم ليس فيه النون مُشدَّدة ، وإنَّما هى نون واحدة خفيفة مفتوحة فى الآرامية مكسورة فى العبرية . وتلك الصفات تفيد أنَّ كتبة الأناجيل اليونانيين سمعوا عن صفات ابن زكريَّا وألقابه التى اشتهر بها كثيرا . وربما لم يسمعوا عن اسمه العَلَم الشخصىّ إلا قليلا فلم يكتبوه ، لأنه اسم عجيب غريب لم يُعْرف فى بنى إسرائيل من قبل . والله تعالى أعلم بالحال وحقيقة الأمر .

المُغتسِلة .. أتباع يَحْيَى بن زكريًا عليه السلام

====================

هناك طائفة دينية عربية قديمة عرفها التاريخ القديم تحت اسم المُغتسلة والبطائحية ذكرها ابن النديم فى فهرسه [1] وذكرها أصحاب الفرق فى الديانات والنّحل تحت اسم **المندعيين والصّابئة والبطائحية** . وكشف عنها المستشرقون حديثا تحت اسم المندائية تحريفا للمنداعية لصعوبة نطق حرف العين عندهم . ومعظم الأبحاث المعاصرة من قِبَل المستشرقين تزعم أنَّ هذه الطائفة هم الصابئة المذكورين فى القرآن تحت مُسمَّى الصابئين والصابئون . وأفراد هذه الطائفة يسكنون بين الرافدين جنوب العراق في منطقة البطائح ، وأيضا فى ناحية بطائح عربستان جنوب شرق إيران حول نهر كارون . وهذه الطائفة العربية الأصل الباقية إلى اليوم تعتبر يَحْيَى عليه السلام آخر أنبياء الله إليهم . ويعتبر التعميد في المياه الجارية من أهم معالم هذه الديانة التى يجيز أغلب فقهاء المسلمين أخذ الجزية من معتنقيها أسوة بالكتابيين من اليهود والنصارى . واللغة السائدة على لسان أفراد تلك الطائفة فى منازلهم وفى أديرتهم إلى اليوم هى اللغة الآرامية ، فهى لغتهم الدينية التى حافظوا عليها منذ أن نزحوا إلى أرض العراق من فلسطين .

---

(١) .. كتاب الفهرست لابن النديم ص ٤٠٣ . بتحقيق رضا ـ تجدد .

المعتقد والأنبياء : يؤمن المنداعيون بالله ووحدانيته ويسمى فى كتابهم المقدس والكتب الدينية الأخرى " الحى العظيم " و " الحى الأزلى " كما يؤمنون بأنّ آدم عليه السلام الرجل الأول هو أول أنبيائهم ومعلميهم والنبىّ الثانى شيت ويسمى شيتل فى المنداعية وسام بن نوح وآخرهم يحيى بن زكريا عليه السلام .

الكتب الدينية : للمغتسلة المنداعيين العديد من الكتب المقدسة منها الكتاب المقدس المُسمَّى بـ كنزا ربًا : ويعنى الكنز العظيم ، وهو يجمع صحف آدم وشيت وسام عليهم السلام ، ويقال له " سدرا- آدم " أى صحف آدم . وتنحصر مباحث هذا الكتاب بذكر بدء الخليقة والتطورات التى حدثت للبشر . والكتاب يعالج القسم الأول منه نظام تكوين العالم وحساب الخليقة والأدعية والوعظ والإرشاد . ويعالج الثانى شئون الميت .

وهناك أيضا كتاب سدرة يَحيَى أى كتاب تعاليم يَحيَى . وهو يتضمن حياة النبىّ يَحيَى من بدء ولادته إلى تاريخ وفاته مع إرشاداته وتعاليمه الدينية ومواعظه عليه السلام .

وهناك كتاب **الأنفس** الذى يحتوى على قصة هبوط النفس فى جسد آدم عليه السلام . وهناك كتاب سدرة نشماتا أى كتاب التعميد وسر المعمودية . ويتضمن الكتاب أمور الموت والدفن وتحريم البكاء وإعلان الحداد ، وكيفية خروج الروح من الجسد وتنقلاتها حتى تستقر فى عالم الأنوار وما يتعلق

بيوم المعاد . كما يحتوى على نصوص الصلاة التى يقرنها رجال الدين فى حفلات التعميد . وهناك كتب أخرى كثيرة لا تهمنا هنا .

وكتب المنداعية ليست مطبوعة وقد قام بنسخها باليد الكتاب الكهنة طيلة قرون عديدة . وتعلم قراءتها محصور برجال الدين ، وهم يحرصون على منع الغير من الإطلاع على كتبهم المقدسة منعا شديدا .

الطقوس والشعائر : أمَّا عن الشعائر الدينية عند المنداعية :

فهناك **الطهارة** : فلا تصح العبادات عندهم بدون طهارة - رشامة - والطهارة فرض على كل ذكر وأنثى . والجنابة مبطلة للعبادات ، والغسل يكون بالماء الجارى . ويكون ذلك بالاغتسال ثلاث مرات بعد نية الطهارة .

وهناك **الصلاة** : ولا تصح الصلاة بدون وضوء وهو عندهم يشابه وضوء المسلمين إلى حد كبير . ومما يفسد الوضوء : البول والغائط وخروج الريح ولمس الحائض والنفساء وأكل شئ قبل الصلاة . والصلاة فرض عليهم يؤدونها فى اليوم ثلاث مرات . وتقتصر صلاتهم على الوقوف والجلوس على الأرض من دون سجود . وتؤدى قبل طلوع الشمس وعند زوالها وقبيل غروبها . وقبلتهم إلى الشمال . ويسبق الصلاة آذان بدون رفع الصوت . وبدون الوقوف على مكان مرتفع .

وعن **التعميد** : كل الطقوس الدينية عندهم لا تتم إلا بالتعميد بالماء الجارى . ويلجئون إليه فى ثلاث حالات :

الرشامه وهو الوضوء ، ويكون قبل طلوع الشمس لأداء فريضة الصلاة ودون الاستعانة بكاهن . والطماشة وهو الاغتسال فى الماء الجارى ثلاث دفعات متتالية دون الحاجة إلى كاهن . وهو لا يتم على الحائض والنفساء والجنب وعلى من لامس واحداً من هؤلاء أو لامس أجنبياً . ثمَّ المصبوتا ويشترط فيه أن يكون على أيدى المؤمنين . وفق رسوم خاصة وآداب مقررة . وهو لايتم إلا فى أيام الآحاد وفى الأعياد القومية .

الصيام : المنداعيون يحفظون عن يَحْيَى عليه السلام قوله لهم : " وآمركم بالصيام . فإن مثل ذلك كمثل رجل معه ُصرة من مسك فى عصابة ، كلهم يجد ريحاً ، وإنَّ خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك " . ويؤكد ابن النديم فرض الصيام عليهم فيقول : " والمفترض عليهم الصيام ثلاثون يوما . أولها لثمان مضين من اجتماع آذار ، وتسعة أخر أولها لتسع بقين من اجتماع كانون الأول وسبعة أيام أخر أولهما لثمان مضين من شباط " .

عقيدتهم فى الموت : يعتقد المنداعيون أنَّ الموت ارتحال وانتقال لا فناء واندثار . والروح طاهرة فيجب أن تخرج من الجسم وهو طاهر . فإن مات المحتضر ، أصبح نجساً وحرم لمسه . ومن لمسه لا يطهر حتى وإن أغتسل بمياه البحر مراراً أو تعمد بالماء الجارى تكراراً . أمَّا مَن مات قتلاً أو غيلة أو بسكتة قلبية فإنه لا يغسل .

المحرمات فى الديانة المنداعية : تشترك الديانة الصابئية المنداعية مع الديانات السماوية الأخرى فى تشخيص وتحديد الكثير من المحرمات وهى فى تشخيصها تأخذ بعدا علميا وإنسانيا عميقا يدل على معرفة خصوصيات وتأثيرات الواقع المادى ودراية بالجوانب النفسية للإنسان وهذه المحرمات هى : التجديف باسم الخالق أى الكفر ، والقتل والزنى والسرقة والكذب وشهادة الزور وخيانة الأمانة والعهد . وعبادة الشهوات والشعوذة والسحر والختان وشرب الخمر . كما يحرم عليهم الربا والبكاء على الميت وأكل الميت والدم والحامل والجارح والكاسر من الحيوانات والذى هاجمه حيوان مفترس ، الطلاق والإجهاض إلا نادرا والانتحار وإنهاء الحياة ، تعذيب النفس وإيذاء الجسد .

ولنتكلم الآن بعض الشىء عن اللغة السائدة بين أفراد هذه الطائفة : هى اللهجة المنداعية وهى فرع من اللغة الآرامية الشرقية المتفرعة من عائلة اللغات السامية إذ أنّ جميع المخطوطات الدينية قد دونت بها كما إنها اللغة المتداولة فى إجراء الطقوس والشعائر الدينية حتى الآن . ويؤمن المغتسلة المنداعيون بأنّ الله علم آدم عليه السلام العلم والمعرفة ، فعرف ربه ونفسه وقرأ الأبجدية الأولى (آ . با . جا . دا ...) وعرفها كذلك المختارون المصطفون من أبناء آدم عليه السلام وذريته الذين كانوا أنبياء ومعلمين على مر العصور .

وتتكون الأبجدية المنداعية من أربع وعشرون حرفا تبدأ بحرف الألف وتنتهى به لاعتقادهم بأنّ كل الأشياء تعود إلى أصولها وبداياتها .

ويستطيع القارئ العربى أن يفهم المنداعية دون اللجوء إلى القواميس وذلك شريطة أن يكون لديه إلمام بأنواع الإبدال والقلب والحذف والإدغام . فهنالك مثلا إبدال بين السين والشين ، فنقول فى المنداعية شلم بدل سلم ، واشم بدلا من اسم ويحصل هذا فى العربية فنقول رشم و رسم بمعنى واحد . كما أنّ هناك إبدالا بين الحاء والخاء والهاء فنقول فى المنداعية هيا بدلا من حيا ونقول أها ونقصد أخا ، ومثل هذا وارد فى العربية أيضا فهنالك رحم أو رخم أو رهم وكلها بمعنى الرحمة .

وهنالك فى المنداعية إبدال بين العين والهمزة ، فنقول أين بدلا من عين ونقول صبا بدلا من صبغ وتكون كلمة صابئة وصابئين وصابئون هى نفسها : صابغة وصابغين وصابغون و (الصبغة أو الصباغة) هى أهم شعائر التطهير عند الصابئة .

أمّا في العربية فيحصل الإبدال بين الهمزة والعين فنقول قراعة بدلا من قراءة ومسعلة بدلا من مسألة . ويحصل في المنداعية أحيانا أن تحذف العين أو الغين فنقول أبى ، نبى بمعنى أبغى ونبغى ، ومثل هذا الاستعمال موجود فى جنوب العراق ، كما نقول في المنداعية دا بدلا من دعا ونقول مندا أي من دعا لمعرفة الله ، ومنها أخذت كلمة مندايي

ومنداعي ، وسمى الفرد الصابئى داى وأصلها داع لله وعارف [1] .

قلت جمال : وهى لهجة عربية تشبه لغتنا العامية فى صعيد مصر وجنوب سوريا ولبنان وشمال وشرق الجزيرة العربية . إلا أنّ شكل كتابتها يختلف عن شكل كتابة الخط العربى المعروف . وللأسف الشديد فإنّ الباحثة العربية المنداعية ناجية المرانى التى تم نقل بعضا من أقوالها السابقة ، لم تذكر فى بحثها الاسم الصحيح لتلك الطائفة التى تنتمى إليها ، فقالت كما قال ويقول المستشرقون أنّ اسم هذه الطائفة هو(Mandaean) مندائية بالهمزة وليس بالعين ، مع أنها تكلمت عن ظاهرة إبدال العين مع الهمزة مندائي ومنداعى . والأصل هو الدُّعاء إلى الله أى المنداعيين أى الداعين إلى الله والعارفين ..!!

---

(١) .. نقلا عن الباحثة ناجية المرانى " دراسة مقارنة بين اللغة المندائية واللغة العربية . المنشور منها فى الموقع المندائى لشبكة المعلومات الدولية : (Mandaeans Official Site) .

اسم ابن زكريَّا عليه السلام عند المنداعية

يُطلق المسيحيون اسم مسيحيى القديس يوحنَّا على طائفة المُغتسلة المنداعية ، مع أنَّ هذه الطائفة لا تعترف بالمسيح عليه السلام ولا تعَدّ مِنَ الطوائف المسيحية أو اليهودية . المهم أنَّ اسم القدّيس يوحنَّا المعمدان عند المُغتسلة المنداعية يُدْعَى (يَحْيَى يوحَانا) كما هو مُسجَّل فى كتاب كتاب سدرة يَحيَى بالخط الآرامى . وهو اسم مركب (يَحْيَى يوحَانا) كما يرى القارىء والملاحظ هنا أنَّ الاسم العلم الشخصى هو يَحْيَى القرآنى العربىّ ، وأنَّ لقبه هو يوحَانا فى الآرامية بتخفيف حرف النون مع فتحه . وهو أيضا يوحانا فى الرسم العبرى التوراتى المزعوم وإن قال العبرانيون أنه يوحَانِى بكسر حرف النون وتخفيفه . وهو ذات اللقب الذى ذكِر فى الأناجيل اليونانية يوحَنِى بنون مكسورة مخففة .

وجميع هذه القراءات تؤدّى إلى أنَّ لقب ابن زكريَّا عليه السلام هو الحصور القرآنى كما سبق شرح معنى الجذر اللغوى (ح ن ا) .

ففى اللغة المنداعية نجد لقبه يوحانا ، وفى يونانية الأناجيل نجده يوحَنِى بمعنى الحصور فى الحالتين . وفى بعض الأصول اليونانية للأناجيل نجد صفته يوحنِّى بكسر النون مع تشديدها ، والذى ترجموه فى النسخ العربية إلى يوحنَّا بفتح الميم وتشديدها خلافا للأصل اليونانى .

وهو بمعنى الحنَّان أو هو بمعنى الذى وهبه الله حنانه اللدنى ﴿ وحنانا مِن لدُنَّا ﴾ . وغاب عن المسيحيين واليهود الاسم العلم الشخصى يَحْيَى . ولكنه لم يغب عن المسلمين والمنداعيين.

فقال المنداعيون هو يَحْيَى يوحَنا أى يَحْيَى الحَصُور ، وقال القرآن الكريم وهو الحق ذاكرا للناس اسمه العلم قائلا ﴿ اسمه يَحْيَى لم نجعل له مِن قبل سميًا ﴾ . وواصفا لصفاته الشخصية قائلا ﴿ مُصَدِّقا بكلمةٍ مِنَ اللهِ وسيِّدا وحَصُورا ونبيًّا مِنَ الصَّالحين ﴾ وقال تعالى أيضا عنه ﴿ يا يَحْيَى خذِ الكتابَ بقوَّةٍ وآتيناهُ الحُكْمَ صَبيًّا . وحَنانا مِن لدُنَّا وزكاةً . وكان تقيًّا . وبَرًّا بوالديهِ ولم يكن جبارا عَصيًّا ﴾ . فقوله تعالى﴿ وسيِّدا وحَصُورا ﴾ فيه معنى يوحَانا الآرامية ويوحَنِى اليونانية . وقوله تعالى ﴿ وحَنانا مِن لدُنَّا وزكاةً ﴾ فيه معنى الكلمة العبرية يوحانان ويوحنّى اليونانية ويوحنَّا الترجمة العربية . وكل تلك صفات تصدُق على شخص يَحْيَى واسمه . فجمع القرآن بين الاسم العلم والصِّفات والألقاب . وتلك هى الهيمنة القرآنية بمعنى التصحيح والتسديد وذكر ما خفى عن الجميع . فالقرآن ليس ناقلا عن الأسفار الكتابية كما يزعم الزاعمون . والحمد لله الذى وفّقَ وسدَّد .

وللعلم فإنَّ للاسم القرآنى يَحْيَى ثلاث قراءات نجد تصديقها فى الصُّوَر المختلفة التى تمت مناقشتها فى اللغات الآرامية والعبرية واليونانية إلى القارىء بيانها :

فهو يُقرأ يَحْيَى (yaha) بفتح الياء الأولى والثانية فى قراءة حفص . وهو يُقرأ يَحْيِى (yahei) بفتح الياء الأولى وإمالة الثانية فى قراءة ورش . وهو يُقرأ يِحْيِى (yehyei) بكسر الياء الأولى وإمَالة الثانية فى قراءة حمزة .

إجمالى ما سبق : مما سبق وجدنا أنّ الحمل بيَحْيَى عليه السلام قد حدث أثناء فترة كفالة زكريًا لمريم . وقضية كفالة زكريًا لمريم مذكورة فى أناجيل نجع حمَّادى المصرية المكتوبة فى القرن الثالث الميلادى وباللغة القبطية الصعيدية [1] أى من قبل ظهور الإسلام .

ويبدو من مجموع النصوص القرآنية والإنجيلية أنّ الحمل بالمسيح عليه السلام قد حدث بعد أن كبرت مريم وخرجت من تحت كفالة زكريًا ومن بعد وفاته . وتلك فترة ليست قصيرة جدا كما قدَّرها لوقا فى إنجيله بأنها كانت ستة شهور . وتلك فترة هامة فى حياة يَحْيَى الدَّعَوَيَّة . فعرفه الناس نبيًا عظيما من قبل أن يعرفوا المسيح . فكتبة الأناجيل اليونانية لا يعرفون شيئا عن حياة المسيح قبل سنّ الثلاثين أى قبل أن يجهر بدعوته للناس . كما لا يعلمون شيئا عن طفولة مريم وولادتها .

---

(١) .. راجع كتاب (The Lost Books Of The Bible) .

وسجّلت لنا الأناجيل أقوالا للمسيح عن يَحْيَى ولم تسجّل اللهم إلا قولا أو قولين ليَحْيَى عن المسيح . مثل قوله " هذا حَمَل الله " ولم يقل هذا هو الله . لأنّ دعوة المسيح لم تبدأ إلا من بعد أن انتهت دعوة يَحْيَى كما قال مرقس فى إنجيله . فالناس كلهم فى فلسطين قد عرفوا يَحْيَى بن زكريًا نبيًا كبيرا فى المقام مهيبا فى أقواله . وذهبت إليه جموع كثيرة من الناس ليقوم بتعميدهم فى مياه نهر الأردن طلبا للتوبة والرجوع إلى الله . ولقد قدَّر بعض شرّاح الأناجيل أعداد الناس التى كانت تذهب إليه بين (٢٠٠٠ - ٣٠٠٠) نفس . وكان مِمَّن تعمَّدَ معهم على يد يَحْيَى المسيح عليه السلام . ولم يحدث مثل ذلك من ذهاب جموع الناس بمثل تلك الأعداد إلى المسيح ليعمدهم لا بالماء ولا بغيره . فكانت فترة رسالة يحيى عليه السلام أطول كثيرا من فترة رسالة المسيح عليه السلام التى حدَّدَها كتبة الأناجيل متى ومرقس ولوقا بسنة واحدة خلاف إنجيل يوحنا الذى حدَّدَها بثلاث سنوات ..!!

وسكتت الأناجيل عن الكلام عن فترة رسالة يَحْيَى عليه السلام وتبيان أصولها وغاياتها ، لأنهم تجاهلوا الكلام عن النبوّة عموما عندما جعلوا من المسيح إلها . وحصروا رسالة يَحْيَى بأنها كانت فقط لتمهيد الطريق أمام المسيح . ولقد قال المسيح عليه السلام عن يَحْيَى عليه السلام حسب نصّ كاتب إنجيل متى (١١ : ١١) : " إنه لم يظهر بين مَن ولدتهم النساء أعظم من يوحنا المعمدان " .

والغريب فى الأمر أن نجد أول شىء يصادفنا فى الأناجيل اليونانية هو فقدان الاسم العلم لابن زكريَّا يَحْيَى عليه السلام . فذكروه بصفته فقالوا يوحنَّى (Ιωαννην) بالنون المكسورة المُشدَّدة أى مَن أوتى الحنان اللدنى كما قالوا يوحَنِى (Ιωανην) بالنون المكسورة المُخفَّفة أى الحصور .

وأخطأ أيضا مترجمو الأناجيل إلى العربية بقولهم يوحنَّا بالنون المفتوحة المُشدَّدة ؛ كما أخطأ مترجمو الأناجيل الإنجليزية بقولهم (جون John) . فلا هم كتبوا الاسم كما هو فى الأصل اليونانى ، ولا هم ترجموا معناه الصحيح إلى العربية أو الإنجليزية .

وثانى شىء هو عدم تعرفهم على يَحْيَى بن زكريَّا كنبىّ ورسول من الله فقالوا " لأنه كان عندهم مثل نبىّ " (متى ١٤ : ٥) أو " أنَّه رجل بار وقِدِّيس " (مرقس ٦ : ٢٠) . وبالتالى فهم لم يثبتوا له رسالة أو دعوة غير تمهيده الطريق أمام المسيح ..!! وسوف أناقش قضية تمهيده الطريق أمام المسيح بعد قليل .

فسكتت الأناجيل عن الكلام عن فترة رسالة يَحْيَى عليه السلام وتبيان أصولها وغاياتها . لأنهم تجاهلوا الكلام عن النبوَّة عموما عندما جعلوا من المسيح إلها . وحصروا رسالة يَحْيَى بأنها كانت فقط لتمهيد الطريق أمام المسيح .

فهل كان يَحْيَى ﷺ خافى النسب حتى يذهب إليه الكهنة واللاويين من عشيرته ليسألونه " مَن أنت ..!؟ " (يوحنا ١ : ١٩) . إنّهم كانوا يريدون فحص رسالته : هل هو النبىّ الآتى الذى سينطق بكلام الله (تثنية ١٨ : ١٥) . أم أنه إيليا الآتى فى آخر الزمان (ملاخى ٤ : ٥) . أم أنه المسيح الموعود ..؟؟ . أم أنه نبىّ كذاب . ولكن يَحْيَى ﷺ أنكر عليهم أن يكون أحد الأربعة المسئول عنهم وأكّد أنه نبىّ من جملة أنبيائهم " صوت مُناد فى البريّة : اجعلوا الطريق مستقيمة أمام الرب كما قال النبىّ أشعيا " (يوحنا ١ : ٢١ ـ ٢٣) . لقد عرف الناس ابن زكريَّا ﷺ نبيًّا عظيما من قبل أن يعرفوا شيئا عن ابن مريم ﷺ الذى ظهرت دعوته من بعد غياب يَحْيَى ﷺ من الساحة ..!!

فقد كان يَحْيَى ﷺ يتكلم بسلطان لا يقاوم ، وكانت كلماته تحرك قلوب الناس وألبابهم . من أقوال المسيح ﷺ عن يَحْيَى ﷺ : " إنه لم يظهر بين مَن ولدتهم النساء أعظم من يوحنا المعمدان ـ يَحْيَى المُغسّل ـ " (متى ١١ : ١١) .

السابق واللاحق

========

وُلِدَ يحيى بن زكريَّا السابق عليه السلام قبل المسيح اللاحق عليه السلام . وُلِد يَحْيَى فشبَّ على الطهر والاستقامة ، وكان آية في زهده وبرِّهِ وورعه وطاعته لربه عزّ وجلّ ، وكان برا بوالديه ، وآتاه الله العلم والحكم صبيًّا ومَنَّ عليه بالرسالة . وهنا أقف وقفة تفكرية أصولية حول معالم دعوة يَحْيَى عليه السلام ورسالته .

لقد بُعِثَ عليه السلام لقومه من بنى إسرائيل وهم تحت طائلة القانون التوراتى وأسفار أنبياء بنى إسرائيل الذين بعثهم الله تعالى على شريعة التوراة . وكثرة تعداد أنبياء بنى إسرائيل ليس بسبب أفضلية بنى إسرائيل على العالمين كما يزعمون ولكن بسبب تمردهم وعصيانهم وبعدهم عن الشريعة التوراتية . فكانت تأتيهم أنبيائهم تترى لتصحيح المسار ، ولكنهم كانوا غلوف القلوب منكوسى العقول كلما جاءهم رسول من الله بما لا تهوى أنفسهم قتلوه أو أسروه . وجاءهم يَحْيَى بن زكريَّا عليه السلام وهم على تلك الحال وبُعْدِهم من الله ، فكان أول شيء فعله لهم هو دعوته لهم بالتوبة والإنابة إلى الله . والتوبة إلى الله جاء بها أنبيائهم من قبل ، فما هو الشيء الذى تميَّز به يَحْيَى بن زكريَّا عليه السلام على سائر أنبياء بنى إسرائيل ..!؟

سوف نرى بإذن الله .

الرسالة وأصول الدعوة

قال لوقا فى إنجيله (٣ : ١ - ١٨) من نسخة كتاب الحياة :

" وفى السنة الخامسة عشرة من ملك القيصر طيباريوس [١] ، حين كان بيلاطس البنطى حاكما على منطقة اليهودية ، وهيرودس حاكم رُبْع على الجليل ، وأخوه فيلبس حاكم رُبْع على إيطورية وإقليم تراخونيتس . وليسانيوس حاكم رُبْع على الأبليَّة . فى زمان رئاسة حنَّان [٢] وقيافا [٣] للكهنة ، كانت كلمة الله على يوحنَّا بن زكريَّا وهو فى البريَّة . فانطلق إلى جميع النواحى المحيطة بنهر الأردن ينادى بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا كما كتب فى كتاب أقوال النبىّ إشعياء : " صوت مُناد فى البريَّة : أعدّوا طريق الرَّب واجعلوا سبله مُستقيمة . كل واد سيُردم وكل جبل وتل سيُخفض ، وتصير الأماكن الملتوية مُستقيمة ، والأماكن الوعرة طرقا مستوية ، فيبصر كل بشر الخلاص الإلهى " .

وكان يقول للجموع التى تخرج إليه ليتعمَّدوا على يده : " يا أولاد الأفاعى ، مَن أنذركم لتهربوا من الغضب الآتى ؟ فأثمروا ثمارا تليق بالتوبة . ولا تبتدئوا تقولون فى أنفسكم لنا إبراهيم أبا . فإنى أقول لكم إنّ الله

(١) .. كانت ما بين سنة ٢٧ و ٢٨ ميلادية حسب حاشية الآباء اليسوعيين العربية .
(٢) .. لم يكن هناك إلا رئيس كهنة واحد . ولقد عُزِلَ حنَّان هذا سنة ١٥ ميلادية .
(٣) .. تولى قيافا رئاسة الكهنوت من سنة ١٨ إلى سنة ٣٦ ميلادية .

قادر أن يُطلِعَ مِن هذه الحجارة أولادا لإبراهيم . وها إنّ الفأس أيضا قد وُضِعَت على أصل الشجر : فكل شجرة لا تثمر ثمرا جيدا تقطع وتطرح في النار " . وسألته الجموع : فماذا نفعل إذن ؟ فأجابهم : مَن كان عنده ثوبان فليعط مَن لا ثوب عنده ، ومَن كان عنده طعام ، فليعمل كذلك أيضا .

وجاء أيضا جباة ضرائب ليتعمّدوا ، فسألوه : يا مُعلّم (διδασκαλε) ماذا نفعل ..؟ فقال لهم : لا تجبوا أكثر مما فرض لكم . وساله ايضا بعض الجنود : ونحن ماذا نفعل ..؟ فأجابهم : لا تظلموا أحدا ولا تشتكوا كذبا على أحد واقنعوا بمرتباتكم .

وإذ كان الشعب منتظرين ، والجميع يُسائلون أنفسهم عن يوحنّا : هل هو المسيح ..؟ . أجاب يوحنّا الجميع قائلا : " أنا أعمّدكم بالماء ، ولكن سيأتى مَن هو أقدر مِنّى ، مَن لا أستحق أن أحل رباط حذائه : هو سيعمّدكم بالروح القدس (وفى الأصل روح قدس πνευματι αγιψ) وبالنار . فهو يَحمل المِذرَى بيده لينقى بيدره تماما ، فيجمع القمح إلى مخزنه ، وأمّا التبن فيُحرقه بنار لا تطفأ " . وكان يُبشّر (ευηγγελιζετο) [1] الشعب ويعظهم (παρακαλων) [1] بأشياء أخرى كثيرة " انتهى النصّ .

---

(١) .. وأصل الكلمتين يُبشّر ويعظ هنا هما : يواتجليزيتو أحد صيغ الأفعال الماخوذ منها الاسم يواتجيليون أى البشارة . و باراكاليو كما هو مسجل بالحرف اليونانى أى يعزّى .

شرح معالم النصّ السابق

أولا : بخصوص بداية توقيت رسالة يَحْيَى عليه السلام .

يبدو من تعارض التواريخ وذكر حنَّان رئيس الكهنة أنَّ رسالة يَحْيَى قد بدأت قبل سنة ١٥ ميلادية سنة عزل حنَّان من رئاسة الكهنوت . واشتهرت دعوته بين الناس فى عهد رئاسة قيافا للكهنوت (١٨ - ٣٦ ميلادية) . ولوقا هنا يشير إلى حادثة مُعيَّنة من حوادث رسالة يَحْيَى عليه السلام ، ألا وهى حادثة تعميد الجموع من بنى إسرائيل والتى كان فيها تعميد المسيح عليه السلام على يد يَحْيَى عليه السلام . فالنصّ يقبل التوقيت المبكر لرسالة يَحْيَى عليه السلام . ففى زمن رئاسة حنَّان للكهنوت بدأت رسالة يَحْيَى . وفى زمن رئاسة قيافا للكهنوت كانت هذه الحادثة التى تعمَّد فيها المسيح .

" فى تلك الأيام ظهر يوحنَّا ينادى فى بريَّة اليهودية فيقول : توبوا . قد اقترب ملكوت السماوات " (متى ٣ : ١ - ٢) .

ثانيا : ثياب يَحْيَى عليه السلام وطعامه .

تقول الأناجيل بأنَّ يَحْيَى قد ظهر فى البريَّة وهو يرتدى ثياب الأنبياء التقليدية ..!! لباس من وبر الإبل وحوله زنَّار من جلد (متى ٣ : ٤) . فمسوح الشعر خاص بثياب الأنبياء (زكريَّا ١٣ : ٤) وكذلك لبس الحزام الجلدى حول حقويه (٢ ملوك ١ : ٨) . فالأنبياء عند بنى إسرائيل لهم ثياب خاصة يظهرون بها أمام الناس حتى يعرفونهم ، وطعام خاص

يأكلونه ..!! فكانت تظهر فيهم أنبياء كذبة كثيرين يلبسون تلك الثياب ويأكلون ذلك الطعام ليخدعوا الناس . والنبوّة عندهم مكتسبة وليست بموهبة واختيار من الله تعالى ، لبس ثياب معيّنة ، وأكل طعام محدد ، ثم تمرين شاق ليفوز بالنبوّة . جاء فى إنجيل متى (٣ : ٤) " وكان طعامه - أى يَحْيَى - الجراد والعسل البَرّىّ " . وبذلك اكتملت نبوّة يَحْيَى بأكله ذلك الطعام خاص ولبسه تلك الثياب ..!!

ثالثا : تعميدهم بالماء طلبا لمغفرة الخطايا .

ظهر يَحْيَى بن زكريَّا عليه السلام فى البرية ينادى **بمعمودية التوبة** لمغفرة الخطايا (مرقس ١ : ٤) . وهذا أمر جديد فى الديانة اليهودية ، فتعميد اليهود للتوبة والإنابة إلى الله لم يكن معروفا عندهم قبل عصر يَحْيَى عليه السلام . وإنما كان المعروف عندهم هو تعميد غير اليهود - أى بالإغتسال بالماء - ليَدْخُلوا فى ديانة اليهود . فالتعميد فى الماء الجارى عندهم لم يكن له معنى سوى النظافة فقط .

فجاءهم يَحْيَى عليه السلام بشكل جديد للغسل طلبا لمغفرة الخطايا والذنوب وهو أن يقوم بتغطيسهم فى مياه نهر الأردن الجارية مع وضع يده الشريفة عليهم والتكلم بكلمات وأدعية لله تعالى لم ينقل لنا منها كتبة الأناجيل شيئا يُذكر . كلمات وأدعية تؤدى إلى قبول التوبة الصادقة والاستقامة عليها وإظهار ثمارها بينهم عملا بأحكام شريعة التوراة ، وبعيدا عن تقاليد

الشيوخ ، فتغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم السابقة بإذن الله تعالى . وتسابق الناس إليه جموعا وجماعات بغية الحصول على التوبة الصادقة .

ويعتبر هذا تعليم تشريعى جديد على بنى إسرائيل وافق عليه المسيح عليه السلام ودخل فيه . فذهب ابن مريم عليه السلام إلى ابن زكريًا عليه السلام ليتعمد على يديه فى مياه الأردن فعَمَّدَهُ يَحْيَى عليه السلام ليتما معا كل برّ . فدخل ابن مريم عليه السلام فى زمرة التائبين المغتسلين من خطاياهم تأكيدا على صحّة دعوة يَحْيَى عليه السلام ورسالته وليكون قدوة لأتباعه . لا لكونه مذنبا أو خاطئا فمعاذ الله أن يكون كذلك . فقد بيَّنَ عليه السلام أنه كان قدوة لأتباعه فى شخصه وفى أعماله وأقواله . فمِن أقواله الرائعة حسب ما جاء فى إنجيل يوحنا (١٢ : ١٥ نسخة الآباء اليسوعيين) قوله " **قد جعلت لكم من نفسى قدوة لتصنعوا أنتم أيضاً ما صنعت إليكم** " . فهل صنع الأتباع صنيع المسيح ..!؟

لا .. لم يحتذوا بالقدوة الصالحة . وخالفوا ذلك التعليم الربَّانى ، وتركوا صنيع معلّمهم وقدوتهم ..!! وتابعوا صنيع بولس الطرسوسى ومسيحه يسوع النصرانى الجنّىّ [١] . بولس الذى لم تعجبه معمودية يَحْيَى وعيسى عليهما السلام . فجاء بمعمودية جديدة ..

جاء فى سفر أعمال الرسل (١٩ : ٢ ـ ٧) عندما ذهب بولس إلى أفسس وجد فيها بعضا من أتباع يَحْيَى عليه السلام فقال لهم : " هل نلتم الروح

---

(١) .. راجع كتابى " يسوع النصرانى مسيح بولس " فإنه هام جدا وجديد فى مادته .

القدس حين آمنتم ..!؟ فقالوا له : لا ، بل لم نسمع أنَّ هناك روح قدُس .
فقال : فأية معمودية اعتمدتم ..!؟ قالوا : **معمودية يَحْيَى** . فقال بولس إنَّ يَحْيَى عَمَّدَ معمودية توبة داعيا الشعب إلى الإيمان بالآتى بعده . فلمَّا سمعوا ذلك اعتمدوا باسم الرَّب يسوع ووضع بولس يديه عليهم ، فنزل الروح القدس عليهم وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم ويتنبأون " ...!!

هل شاهدتم كيف تعمَّد التلاميذ بمعمودية يَحْيَى وعيسى فجاء بولس وأدخل المعمودية باسم الرب يسوع ..!! فلم تعجبه قدوة المسيح وفعله وإقراره بصحة معمودية يَحْيَى . وبالتالى فالمسيحية البولسية لم تعجبها تلك المعمودية أيضا فقال أتباعها بمعمودية الدَّم التى اخترعت فيما بعد . فالكنائس الآن لا تعمل بمعمودية يَحْيَى وعيسى ولا حتى بمعمودية بولس وإنما تعمل بمعمودية أخرى وردت فى نصّ مزعوم فى إنجيل متى الذى لم يكن له وجود فى عصر بولس .

وقبل أن أنتقل إلى الفقرة الرابعة أتكلم قليلا على التعميد وصيغته فى المسيحية الحاضرة : قالوا بأنَّ المعمودية هى المدخل الرئيسى إلى المسيحية والعلامة الحسية والخارجية الرسمية التى لا تمحى ولا تتكرر . التى بها يولد المؤمن لحياة الإيمان الجديدة . وقالوا بأنَّ المعمودية هى موت عن الخطيئة وقيامة لحياة جديدة ملؤها النعمة والحق . فكان على السيد المسيح أن يعتمد معمودية الدم ببذل ذاته من أجل خلاص العالم . وهنا

أصبحت المعمودية سراً من أسرار الكنيسة السبعة والخمسة والثلاثة ..!!

فالمعمودية في الديانة المسيحية هي سر من أسرار الكنيسة يجب على كل مسيحي أن يعتمد كختم لإيمانه ولا يسأل عن كنهها ومعناها ..!! وليلتزم بتنفيذه لأمر المسيح لتلاميذه : " اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم **وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس** " (إنجيل متى ٢٨: ١٩) .

ويصعب تحديد الوقت الذى بدأت فيه المعمودية المسيحية بصيغتها السابقة فى الكنائس . وسوف نناقش سويًا النصّ السابق ونتعرّف على مدى مصداقيته : جاء فى آخر إنجيل متى (٢٨ : ١٩) قول المسيح ﷺ لتلاميذه الأحد عشر : " **فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس** " . قيلت هذه الفقرة حسب إعتقاد المسيحيين جميعا من بعد حادثة صلب المسيح وإنتهاء بعثته الأرضية . وهى فقرة انفرد بذكرها إنجيل متى الموجود بين أيدينا ، ولا أثر لها فى الأناجيل الثلاثة أو سفر أعمال الرسل الذى هو تسجيل لسير الدعوة من بعد حادثة الصلب مباشرة . إضافة إلى أنّ إنجيل متى لم يكن أول الأناجيل كتابة .

وتتكلم هذه الفقرة على صيغة التعميد الذى يعتبر من أساسيات الاعتقاد المسيحى . ويعتقد المحققون من علماء المسيحية أنّ نصّ متى السابق قد كُتِب من بعد مرور خمسين سنة على حادثة الصلب الشهيرة ..!!

فلو كان هذا النصّ صحيحا لاستشهد به بولس فى وجه التلاميذ المناهضين له . ولكتبه مرقس فى إنجيله المكتوب قبل إنجيل متى أو كتبه لوقا ويوحنا فى إنجيليهما .

فبخصوص صيغة التعميد الواردة هنا بـ (اسم الآب والابن والروح القدس) . فهى صيغة لا وجود لها فى التاريخ الكنسى أبّان فترة عصر التلاميذ وما تلاها كما لا يوجد نصّ يماثل هذه الصيغة فى كل أسفار العهد الجديد . فلا يُعْرف فى المسيحية نصّ واحد يفيد بأنّ المسيح عليه السلام قد عَمّدَ أحد تلاميذه أو أنه قد تعمّدَ بهذه الصيغة ، فالمعمودية عند اليهود كانت ولا تزال تشابه الوضوء أو الغسل بالماء عند المسلمين . علامة للطهارة وللدخول فى دين اليهودية إلى أن جاء يَحْيَى عليه السلام وشرع لهم معمودية التوبة وغفران الخطايا . وبهذه الصيغة تعمَّد المسيح على يد يَحْيَى .

وإذا رجعنا إلى نصوص الأناجيل وسفر الأعمال ، نجد أنّ صيغة التعميد المنسوبة إلى التلاميذ من بعد إنتهاء بعثة المسيح عليه السلام **كانت باسم المسيح فقط** (أعمال ٢ : ٣٨ ؛ ٨ : ١٦) . وظلت هكذا فى القرون الأولى من قبل إعلان الثالوث المؤله فى مجمع أفسس سنة ٣٨١ مـ . فهاهو المؤرخ الكنسى القديم يوسابيوس القيصرى يذكر نصّ متى موضوع دراستنا هكذا " **اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم باسمى** " . وهذا النصّ لا يوجد الآن فى نسخ إنجيل متى المتداول الآن مما يوحى بأنّ صيغة التثليث

الحقت بالإنجيل من قِبَل الكنيسة فيما بعد (راجع التفسير الحديث لإنجيل متى ص ٤٦٣) .

ولقد ذكرت للقارىء ما يفيد بأنّ أتباع المسيح الأوائل قد تعمّدوا حسب تعميد يَحْيَى عليه السلام (سفر الأعمال ١٩ : ١ ـ ٧) ثم جاء بولس وأدخل المعمودية باسم الرب يسوع ..!! ومعمودية بولس تلك لم تعمل بها الكنائس من بعده وإنما عملت بنصّ متى المزعوم الذى لم يكن له وجود فى عصر بولس .

وخلاصة القول : أنّ نصّ متى (٢٨ : ١٩) غير صحيح ، وهو إلحاقى أضيف إلى الإنجيل لتحقيق غرض الكنيسة فى إعلان عالمية الدعوة كما أنه لا يثبت أمام النصوص المنقولة عن المسيح عليه السلام أبّان فترة بعثته . أو النصوص المذكورة عن التلاميذ وأتباعهم فى الثلاث قرون الأولى . كما أنّه لا معنى لما يذكره علماء المسيحية قاطبة من أنّ يَحْيَى عليه السلام قد جاء فقط ليمهد الطريق أمام المسيح عليه السلام ولا شىء غير ذلك .

قرّائى الأعزّاء انظروا معى بتمعن لقول المسيح عليه السلام الوارد فى إنجيل متى (٢١ : ٢٥ ـ ٢٦) وهو يقول لشيوخ قومه وعظماء كهنتهم :
" من أين جاءت معمودية يَحْيَى : أمِنَ السماء أم من الناس ..!؟ فقالوا فى أنفسهم : إن قلنا من السماء ، يقول لنا فلماذا لم تؤمنوا به ..؟ وإن قلنا من الناس ، نخاف الجمع لأنهم كلهم يعُدُّون يَحْيَى نبيًّا " .

وهذا السؤال لا يزال مطروحا إلى الآن أمام أتباع المسيح . فإن كانت معمودية يَحْيَى من السماء وهى كذلك ، وقد تَعَمَّد بها المسيح عليه السلام ولم يثبت أنه قد تعمَّد بغيرها ، فلماذا لا تؤمنون بها ..!؟

ولا يزال قول المسيح عليه السلام يُسمَع صداه فى أذان المؤمنين " قد جعلت لكم من نفسى قدوة " (إنجيل يوحنا ١٣ : ١٥) . فهل أنتم منتهون أيُّها المسيحيون عمَّا تفعلون وترجعون إلى القدوة ..!!؟

رابعا : مطالبتهم بالتوبة وتحقيق ثمارها بينهم .

التوبة مطلب أساسى فى حق المؤمنين خصوصا . نادى بها الأنبياء كلهم عبر العصور . كما كانت من أصول رسالة المسيح عليه السلام قبل الإيمان بالإنجيل الذى جاء به حيث قال عليه السلام : " قد اكتمل الزمان واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل " (مرقس ١ : ١٥) . وقال متى فى إنجيله (٣ : ٢ - ٣) : " ظهر يوحنَّا المعمدان ينادى فى بريَّة اليهودية فيقول : توبوا قد اقترب ملكوت السماوات " . فما عليهم إلا أن يبادروا بالتوبة قبل أن يأتى ويداهمهم ما يُسَمَّى بـ ملكوت الله أو كما يُسميه متى ملكوت السماوات هربا من ذكر اسم الله ..!!

والغريب أنَّ تلك التوبة التى صاحبت دعوة يَحْيَى والمسيح عليهما السلام نجدها قد اختفت تماما فى رسائل بولس كلها ..!!

قال يَحْيَى لقومه مُخوّفا إيّاهم من الغضب الآتى وواعظا لهم ومُرشِدًا : أثمروا ثمارا تليق بالتوبة . وألا تركنوا إلى أنكم من نسل إبراهيم فإنّ الله قادر أن يُطلعَ من الحجارة أولادا لإبراهيم غيركم ، وها إنّ الفأس أيضا قد وُضِعَت على أصل الشجر فكل شجرة لا تثمر ثمرا جيدا تقطع وتطرح في النار . وقال لهم مُرشِدًا : مَن كان عنده ثوبان ، فليعط مَن لا ثوب عنده ، ومَن كان عنده طعام فليعمل كذلك أيضا . وقال لجباة الضرائب لا تجبوا أكثر مما فرض لكم . وقال للجنود لا تظلموا أحدا ولا تشتكوا كذبا على أحد واقنعوا بمرتّباتكم . فتلك هى الأفعال التى تؤتى ثمارها بالتوبة إلى الله .

خامسا : تخويفهم من الغضب الآتى ، ومن ثم وعظهم .

أشار هنا نبىّ الله يَحْيَى ﷺ إلى غضب إلهى سيقع على بنى إسرائيل خاصة فيما سيأتى فى المستقبل . وحضّهم إلى الاسراع بالتوبة قبل حلول ملكوت الله وظهوره عليهم . وجَعْل طرق العبادة مستقيمة لا إعوجاج فيها . وبمثل ذلك المعنى قال المسيح ﷺ لقومه وطالبهم بالتوبة لأنّ ملكوت الله أوشك على الظهور . وفى وقتنا الحاضر لا يزال المسيحيون يدعون الله فى صلاتهم الربّانية قائلين " ليأتى ملكوتك " . فأنبياء الله يَحْيَى وعيسى قالا بأنّ الملكوت على وشك الظهور وطالبا قومهم وأتباعهم بالاسراع بالتوبة قبل ظهوره ، وحذرهم يَحْيَى ﷺ مِنَ الغضب الإلهى الوشيك الوقوع

عليهم بقدوم الملكوت . وجاء الملكوت [1] ولم يتب بنو إسرائيل فغضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم جهنم وساءت مصيرا . وطالب الله تعالى من المؤمنين بألا يتولوا هؤلاء المغضوب عليهم فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفّار من أصحاب القبور ﴾ (١٣ / الممتحنة) .

والغريب فى الأمر أنّ مفسّرى الأناجيل اعتبروا الغضب الآتى الذى حذرهم منه المعمدان هو تدمير القدس على يد الرومان ، وتناسوا اقتران التحذير النبوى بظهور ملكوت الله . " اقترب ملكوت الله فتوبوا " و " توبوا قد اقترب ملكوت السماوات " . و " مَن أنذركم لتهربوا من الغضب الآتى ؟ فأثمروا ثمارا تليق بالتوبة . ولا تبتدئوا تقولون فى أنفسكم لنا إبراهيم أبا . فإنى أقول لكم إنّ الله قادر أن يُطلعَ من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم . وها إنّ الفأس أيضا قد وُضِعَت على أصل الشجر : فكل شجرة لا تثمر ثمرا جيدا تقطع وتطرح فى النار " . فأشار يَحْيَى عليه السلام بعدم الاتكال على أنهم من ذرية إبراهيم ، لأنّ الله قادر على أن يُطلع من الحجارة ذرية لإبراهيم غيرهم ، فكيف بهم وهناك فعلا ذرية لإبراهيم فى الحقيقة غيرهم ألا وهم أبناء إسماعيل بن إبراهيم ..!!؟ فها إنّ الفأس قد وُضِعَت على رأس بنى إسرائيل - الشجرة - إن لم يتوبوا ويُثمِروا ثمرا جيدا يليق بأبناء إبراهيم .

---

(١) .. راجع معنى الملكوت فى كتابى الكبير " معالم أساسية فى الديانة المسيحية " .

سادسا : تبشيرهم بالنبىّ الذى سيأتى بعده ، الذى سيعمّدهم بالنار وروح قدس .

مَن استعرض سيرة الحكماء من الناس ، وُجدَ أنهم كانوا يستمعون إلى النصيحة فيقبلونها ، لأنّهم وجدوا فيها حلاوة الحقيقة . فما بالكم بكلام الأنبياء ونصائحهم لأقوامهم ..!؟ إنّ كلامهم ونصائحهم كالبوصلة التى يهتدى بها التائهون . فعندما شاهد الناس يَحْيَى بن زكريًا ﷺ وأقواله وأفعاله تحيَّروا وتفكَّروا مَن يكون هذا الرجل ..!؟ فذهب إليه الكهنة واللاويين من عشيرته ليسألونه " مَن أنت ..!؟ " (يوحنا ١ : ١٩) . إنّهم كانوا يريدون فحص رسالته : هل هو النبىّ الآتى الذى سينطق بكلام الله (تثنية ١٨ : ١٥) . أم أنه إيليا الآتى فى آخر الزمان (ملاخى ٤ : ٥) . أم أنه المسيح الموعود ..؟؟ . أم أنه نبىّ كذاب . ولكن يَحْيَى ﷺ أنكر عليهم أن يكون أحد الأربعة المسئول عنهم . وأكّد أنه نبىّ من جملة أنبيائهم فقال لهم : " صوت مُناد فى البريَّة : اجعلوا الطريق مستقيمة أمام الرب كما قال النبىّ أشعيا " (يوحنا ١ : ٢١ - ٢٣) .

ثمَّ بيَّن لهم بقوله : " أنا أعمِّدكم بالماء ، ولكن سيأتى مَن هو أقدر منِّى مَن لا أستحق أن أحل رباط حذائه : هو سيعمِّدكم بالروح القدس (وفى الأصل روح قدس πνευματι αγιψ) وبالنار . فهو يَحمل المِذرَى بيده لينقى بيدره تماما فيجمع القمح إلى مخزنه ، وأمَّا التبن فيُحرقه

بنار لا تطفأ " .

لقد عرف الناس ابن زكريَّا عليه السلام نبيًّا عظيما من قبل أن يعرفوا شيئا عن ابن مريم عليه السلام المُعَاصر له ، والذى ظهرت دعوته من بعد غياب يَحْيَى عليه السلام من الساحة ..!! لقد كان يَحْيَى عليه السلام يتكلم بسلطان لا يقاوم ، وكانت كلماته تحرك قلوب الناس وألبابهم . فمَن يكون ذلك القادم من بعده " سيأتى مَن هو أقدر مِنّى " ..!!؟

وفى نسخ أخرى تأتى الترجمة " **سيأتى مَن هو أقوى منى** " .

تخيلوا النبىّ يَحْيَى عليه السلام وهو يُوَجّه مواعظه بصوت عال مدوى فى البرية أو على ضفاف الأردن إلى جماهير اليهود ، وخطب المسيح عليه السلام ومواعظه أمام الفقراء والمساكين والعشّارين من قومه . ثم أستعرضوا الأسلوب الهادئ الرزين الذى كان يعلن فيه محمد ﷺ الآيات القرآنية على صناديد قريش وعظمائها . ثم انظروا إلى تأثير كل من تلكم الدعوات الثلاث فى ضوء النتيجة النهائية لكل منهما " من ثمارهم تعرفونهم " (متى ٧ : ١٦) حينئذ تفهموا معنى " إنه أقدر منى " .

واستحضروا قصة القبض على يَحْيَى عليه السلام الأعزل من قبل هيردوس أنتيباس ثم قطع رأسه بإيعاذ من سالومى الخليعة . وتابعوا قصة القبض على المسيح يسوع الأعزل من قبل بيلاطس وتتويجه بتاج من الشوك على يد هيرودس وصلبه بين مجرمَيْن مستحقين للعقاب .

وبالمقابل قارنوا ذلك بما كان من الدخول المظفر لخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ إلى مكة وتدميره لجميع الأصنام وتطهيره للكعبة المشرفة . ومنظر أعدائه من صناديد قريش وعظمائها المدحورين بقيادة أبى سفيان وهم يطلبون منه العفو والرحمة فيقول لهم ﷺ " اذهبوا فأنتم الطلقاء " . حينئذ تفهمون معنى " إنَّه أقدر مِنِّى " .

وحسب الحكمة التى قالها المسيح عليه السلام فى معرض التمييز بين النبىّ الصادق والنبىّ الكاذب فى دعواه " مِن ثمارهم تعرفونهم " . طبقوا تلك الحكمة على خاتم الرسل ﷺ فى خطبة الوداع حين تلا تلك الآية الكريمة ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم .. ﴾ . عندئذ ستفهمون تماما معنى كلام يَحْيَى عليه السلام " سيأتى مَن هو أقدر مِنِّى " أو " سيأتى مَن هو أقوى منى " .

بالقطع ليس هو المسيح ابن مريم عليه السلام كما يزعم جميع مسيحى العالم . لأنه لم يأت بعده وإنَّما كان معاصرا له ، وقف تحت يدى يَحْيَى ليُعَمِّدَهُ بالماء . وشاهدهم المخاطبون بكلام يَحْيَى وهما معا ، فلا يشار إليه بصيغة الغائب سيأتى وهو مع يَحْيَى .

كما أنَّ الأناجيل تقول بأنَّ يَحْيَى وعيسى قد قتلا جزاء دعوتهما . فالأول قطعت رأسه والثانى قتل صلبا على شجرة . وخاتم الرسل ﷺ الذى جاء بعدهما كان فعلا أقوى منهما وأقدر منهما معا ، فلم يقدر عليه البشر ويقتلونه . وإنَّما بمعونة الله وتأييده له نشر دعوته بين ربوع الجزيرة

العربية ، وقوّض عرش كسرى ، وأذلّ قيصر الروم . فهل فهمتم معنى " **إنّه أقدر مِنّى** " ..!؟

ولنتفكر أيضا فيمَن يكون ذلك القادم من بعده الذى سيعمّدَ الناس بروح قدس ونار .. مَن يكون ذلك الشخص الذى يحمل مذراة بيده لينقى به قمحه ويجمعه إلى مخزنه ويحرق التبن بنار لا تطفأ ..!؟ علما بأنّ القمح والتبن كناية عن المؤمنين بدعوته والكافرين بها .

لقد ذهب المسيحيون جميعا إلى أنّ هذا الشخص هو المسيح عليه السلام . وأنا لا أستكثر على المسيح أن يكون هو . ولكن الأمر يحتاج إلى وقفة وفهم لوجه الله . ولنحاول قارئى الكريم أن نكون مفكرين مبدعين ، ولا نكون مُبرِّرين لأقوال الناس السابقين ولاهثين ورائها . فكما قال الحكماء أنّ المتجاهل عدو للحقيقة أينما وُجدت قالوا أيضا بأنّ الجاهل عدو نفسه فقط . فلنزيل الجهل والتجاهل عنّا ونبحث قليلا ..

هل حمل المسيح عليه السلام المذراة بيده لينقى به قمحه ويجمعه إلى مخزنه ويحرق التبن بنار لا تطفأ ..!؟

هل جمع المسيح المؤمنين بدعوته إلى جانبه ثم قاتل الكافرين بدعوته وأوردهم نار جهنم التى لا تطفأ أبدا ..!!؟

لقد ذكرت الأناجيل أنّ المسيح عليه السلام عندما خرج من أورشليم الخرجة الأخيرة نظر إليها متحسّرا وهو يقول : " كم مرة أردت أن أجمع

أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، فلم تريدوا " (متى ٢٣ : ٣٧) . فلم يستطع أن يجمع قمحه إلى مخزنه ويحرق التبن بنار لا تطفأ .

فلم يعرف التاريخ مثل ذلك الأمر مع يَحْيَى وعيسى عليهما السلام ولكنه عرف ذلك جيدا مع رسول الله مُحَمَّد ﷺ . فجمعه لأصحابه وإعلان الأخوة بينهم ومبايعتهم له مذكورة فى التاريخ . كما أنّ حروبه وغزواته للكافرين به مشهورة وقد نصره الله عليهم ولم ينالوا منه قط ، ولم يقطعوا رأسه أو يصلبوه . وإنّما أوردهم نار جهنم التى لا تطفأ أبدا . لعلّ القرّاء قد فهموا الآن معنى قول نبىّ الله يَحْيَى عليه السلام لمن سيأتى من بعده " إنّه أقدر منّى " .

أمّا بخصوص التعميد فالمعنى العام له حسب العرف الجارى فى ذلك الزمان هو التغطيس الكامل فى الماء الجارى طلبا للمغفرة المصاحبة لقبول التوبة الصادقة . وأمّا معناه اللغوى فمجهول لأنّ الكلمة اليونانية (ςβαπτισμο) لا تفيد المعنى اللغوى الاشتقاقى لا فى الآرامية ولا فى العبرية ولا فى العربية . ربما كان المعنى اللغوى مأخوذ من الوقوف على هيئة العمود أثناء تغطيسه فى الماء الجارى والله تعالى أعلم . المهم أنّ التعميد بالماء الجارى فيه معانى طهارة العقل والقلب ونظافة الجسم والثياب والمكان . وحسب شريعة يَحْيَى عليه السلام تجد فيه كل المعانى السابقة مُضافا إليها مغفرة الذنوب والخطايا .

لقد قال يوحنا في إنجيله (٣ : ٢٢ - ٢٣) " وذهب يسوع وتلاميذه بعد ذلك إلى بلاد اليهودية وأقام فيها معهم ، وأخذ يُعَمّد . وكان يَحْيَى أيضا يُعَمّد في عين نون بالقرب من ساليم ، لأنّ المياه هناك كانت كثيرة . فكان الناس يأتون ويتعمّدون " . فها هما نبيّا الله يَحْيَى وعيسى عليهما السلام يُعَمّدان الناس في وقت واحد . بطريقة واحدة بالماء الجاري وليس بالروح القدس والنار . لقد مارس عيسَى عليه السلام المعمودية تماما كما كان يفعل يَحْيَى عليه السلام في جداول المياه وأمر تلاميذه أن يفعلوا الشيء نفسه مما يبين تماما أنه لم يكن الشخص المقصود الذي يعمد بالروح وبالنار .

لقد وصفت الأناجيل معمودية كل من يحيى وعيسى عليهما السلام بوضوح وهي منافية تماما لمعمودية الكنائس . ومن الغريب حقا أن ينعقد مجمع ترنت (Council of trent) ليقرر لعن كل شخص يقول بأنّ المعمودية المسيحية تشابه معمودية يَحْيَى عليه السلام .

لقد كانت معمودية كل من يَحْيَى وعيسى عليهما السلام رمزا لدخول التائبين في زمرة المؤمنين بالرسول الخاتم ﷺ الذي سيأتي من بعدهما . وكما كان الختان علامة على دين إبراهيم ﷺ ومن تبعه ، كذلك كانت المعمودية بالماء الجاري علامة على شريعة يَحْيَى وعيسى عليهما السلام .

وطالما أنّ معمودية عيسى عليه السلام كانت نفس معمودية يَحْيَى عليه السلام وطالما أنّ معمودية يَحْيَى كانت كافية لغفران الخطايا فلا معنى للقول المنسوب إلى يَحْيَى فى إنجيل يوحنا (١ : ٢٩) عندما رأى المسيح فقال : " هذا حَمَلُ الله الذى يُزيل خطيئة العالم " ..!! ولئن كانت مياه الأردن كافية لغفران خطايا الناس فلا داعى لسفك دم يسوع لأجل نفس الغرض ..!!

والملاحظ أيضا أنّ لوقا تلميذ بولس قال فى سفر الأعمال أنّ التعميد الذى كان تلاميذ المسيح يجرونه على الأتباع من بعد انتهاء بعثة المسيح عليه السلام كان باسم عيسى فقط (أعمال ٨ : ١٦) وذلك قبل حلول الروح القدس عليهم . فإقرار لوقا بأنّ المعمودية باسم عيسى لم تكن تتم بالروح القدس يعتبر برهانا حاسما على أنّ المسيح ليس هو المقصود بالشخص الآتى الذى يُعَمِّد بالروح القدس والنار . فلا يوجد نصّ واحد فى الأناجيل يفيد أنّ المسيح عليه السلام قد عَمَّد أحدا بمعمودية الدَّم أو بالمعمودية التى تجرى حاليا فى الكنائس .

إنّ معمودية عيسَى كانت استمرار لمعمودية يَحْيَى لا أكثر ، أمّا المعمودية بالروح القدس وبالنار فقد اختص بها الإسلام . فلو كان عيسى هو رسول الله الذى تنبأ به يَحْيَى والذى جاء ليُعَمِّدَ بالروح والنار فى الوقت الذى كان عيسى يعمد الجموع بماء الأردن لو كان ذلك صحيحا لنشأت التساؤلات الآتية :

لماذا لم يُعَمِّد بالروح والنار أثناء فترة بعثته ..!!؟

ولماذا لم يَحمِل المِذرَى بيده لينقى بيدره فيجمع القمح - المؤمنين - إلى مخزنه . ويحرق التبن - الكافرين - بنار لا تطفأ كما قال الإنجيل ..!!؟

ولماذا لم يقاوم معسكر الكفر والشر وينتصر عليه ..!!؟

وكيف يمكن تفسير أنَّ أتباع يَحْيَى لم يتبعوا عيسى مع أنَّ المفروض أنَّ يحيى قدَّم عيسى للجمهور على أنه سيده والأعلى منه مرتبة ..!!؟

ولماذا قاوم أتباع يَحْيَى دعوة بولس خارج فلسطين من بعد إنتهاء رسالة المسيح .

وما هو ملكوت الله الذى بشَّر بقرب حلوله كل من يَحْيَى وعيسى عليهما السلام . ولم يأت ذلك الملكوت فى عصرهما ..!!؟

إنَّ التعميد فى أصل معناه عند أتباع يَحْيَى المُغتسلة السابق الكلام عنهم هو الصبغ بإبدال الهمزة إلى غين حسب لغة المندعيين أى الصبا ومنها الصابئون القرآنية . وهى كلمة تدل على نفوذ ماء الطهارة إلى الروح والقلب بقوة الشريعة الرَّبَّانية المُعَبَّر عنها بالنار حسب نصوص العهد القديم التوراتى . وهذا المعنى هو الذى نجده فى القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ﴾ (الآية ١٣٨ / سورة البقرة) .

إنَّ المعمودية بالروح والنار فى حقيقتها هى الهداية الإلهية فكما يصبغ الصباغ الصوف أو القطن بصبغة تعطيه لونا جديدا ، وكما كان يمحو يَحْيَى ﷺ الخطايا السابقة للمؤمنين التائبين بتغطيسهم فى المياه الجارية بإذن الله تعالى . فإنَّ الإسلام لا يصبغ الجسم بتغطيسه فى مادة الصبغ بل يصبغ روح الشخص الذى يتولاه برحمته فيهديه للدخول فى دين الإسلام ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾ . لقد وصف يَحْيَى هذه المعمودية بالروح والنار لرسول الله ﷺ الأقوى منه ، باعتباره رسولا من الله إلى الناس كافة ووسيلة يتم عن طريقها ذلك الصبغ الإلهى . لقد بلغ محمد ﷺ رسالة الله وكان يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤدى باقى الشعائر الدينية ، ويخوض الحروب ضد الكفرة والوثنيين للدفاع عن قضيته ، وكان النجاح والنصر من عند الله . وبنفس الطريقة التى وعظ بها يَحْيَى وعَمَّد ، كان قبول التوبة والكفارة وطرح الخطايا من عند الله وليس من عند يَحْيَى . وإنَّ قوله ﷺ : " إنَّ الذى يأتى بعدى أقوى منى ، وسوف يعمدكم بالروح وبالنار " (متى ٣ : ١١) قد تحقق وظهر للناس صدقه عن طريق محمد ﷺ فقط . وصدق المسيح ﷺ حين قال فى معرض الكلام عن التمييز بين الأنبياء الصادقين والأنبياء الكذبة " من ثمارهم تعرفونهم " (متى ٧ : ١٦) .

ذلك هو يَحْيَى بن زكريَّا عليه السلام السابق الذى قال عنه المسيح عليه السلام :
" إنه لم يظهر بين مَن ولدتهم النساء أعظم من يَحْيَى " (متى ١١ : ١١) .
وقال عنه نبيّ الإسلام محمد ﷺ " لا ينبغى لأحد أن يقول أنا خير من يَحْيَى بن زكريَّا ما همَّ بخطيئة ولا عملها " [١] .

سابعا : <u>قولهم أنَّ يَحْيَى قد جاء ليمهد الطريق أمام المسيح .</u>

وهذه المقولة تحتاج إلى إيضاح كثير ، لأنَّ هناك ضباب كثيف عليها فى الفكر المسيحى ، جاء أوان كشحه ، فلنعمل بوصيَّة المسيح عليه السلام " أخرج أولا الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيدا " (متى ٧ : ٥) ، لترى العيون النصّ الصحيح ولتتفكر العقول فى النص المنقول .

نعم لقد كان يَحْيَى عليه السلام صوتا مُنادٍ فى البريَّة يقول أعدّوا طريق الرَّب واجعلوا سبله مُستقيمة . وكان عليه السلام مُصَدّقا بالمسيح عليه السلام . ولكنه لم يكن يُمَهّد الطريق له كما سأبرهن على ذلك الأمر من داخل نصوص أصول الكتاب .

وردت نبوءة فى سفر ملاخى آخر الأسفار اليهودية فى الكتاب المقدّس المسيحى تتكلم عن رسول أو ملاك يأتى ليُمهّد الطريق أمام ... أخذها كتبة الأناجيل ونسبوها إلى يَحْيَى وعيسى عليهما السلام وقالوا وقال من بعدهم المسيحيون جميعا أنَّ يَحْيَى قد جاء ليمهّد الطريق أمام

---

(١) .. مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢١٢ . وقال الهيثمى " رواه البزار ورجاله رجال الصحيح " .

المسيح . وإلى القارىء بحثا مُبَسَّطا حول حقيقة هذا النصّ ناقلا إيّاه من كتابى الكبير " نبىّ أرض الجنوب " .

كلمة ملاخى فى العبرية التوراتية تكتب ملاكى (מלאכי) بالكاف وليس بالخاء لأنّ الخاء لا توجد فى العبرية القديمة ذات الاثنين والعشرون حرفا . وملاكى معناها رسولى أو نَبِىّ . فاسم السّفر الصحيح هو ملاكى وليس ملاخى . ويعتبر سفر ملاكى هذا خطاب مُوَجَّه من إله بنى إسرائيل إلى يهود القدس الذين كانوا يُقدّمون على المذابح أحقر أنواع الأضاحى والقرابين من الغنم والماشية . العمياء منها والعرجاء والهزيلة ويهملون دفع الأعشار ، وإن اختاروا دفعها فهى من أسوأ الأصناف . ولم يكن الكهنة يكرسون وقتهم لأداء واجبهم لأنه يستحيل عليهم الأكل من شرائح لحم البقر وقطع الضأن المشوية المأخوذة من الأضاحى العجفاء كبيرة السن مشلولة القوائم ، ولم تكن تكفيهم الأعشار الضئيلة على أية حال " .

وهذا السفر يرجع تاريخ كتابته إلى زمن ما بعد الأسر البابلى فى حدود (٤٨٠ - ٤٦٠ ق . م) . وقد كتِبَ بأسلوب عبرانىّ جيد ، إلاّ أن اللغة الآرامية كانت قد سيطرت على لسان اليهود العائدين من الأسر ، فكان القليل النادر من رجال الدين يتكلمون العبرانية القديمة حينذاك ، وغالبية رجال الدين وجمهور العامة كانوا يتكلمون الآرامية التى تفشت فيهم إلى أن قضت تماما على اللسان العبرانى القديم . وتم كتابة " الترجوم الفلسطينى

" وهو ترجمة آرامية للأسفار العبرانية ، فكان هو المعمول به حتى زمان بعثة المسيح عليه السلام وإلى ما بعد ظهور الإسلام .

وما يهمنا هنا فى بحثنا هذا هو كيفية فهم النصّ العبرى الآرامى القديم المَعْنِيّ بالدراسة . وذلك بالاستعانة بمفردات اللغة العربية حيث أنّ أصول الإشتقاقات اللغوية واحدة ، ثم الإستعانة بالترجمات الإنجليزية المختلفة للنصّ والمتيسرة لدَىَّ ، مع التركيز على بيان الضمائر المستخدمة فى النصّ . وتلك نقطة هامة جدا غفل عنها معظم مفسرى المسيحية كما سنرى الدليل على ذلك .

وقبل البدء فى ذكر النصّ وشرحه ، أقدّمُ للقارىء خلاصة ما عليه علماء المسيحية ومترجميهم الذين قاموا بترجمة الأسفار اليهودية من أصولها العبرية واليونانية إلى الترجمات الإنجليزية حيث فرّقوا بين معانى كثير من المصطلحات الدينية المتشابكة المعانى ، مثل الكلمات : الرب و الإله و السيد و المعبود و ... الخ بطريقة جَيّدَة كنت أوَدُّ أن أراها أو أرى مثلها فى الترجمات العربية .

فعندما يكون الكلام عن إله إسرائيل الخاص بهم ، يكتبون فى الترجمات الإنجليزية كلمة (LORD) بالحروف الكبيرة المتساوية فى الخط . وعندما يكون الكلام عن شخص ذو مكانة عالية يأتى التعبير الإنجليزى (Lord) وهو يعادل كلمة السيد والرب وما يشابهها من ألقاب

. وعندما يكون الكلام عن ربّ المسيحيين أى يسوع المسيح فهم يكتبون الكلمة هكذا (Lord) لاحظ كِبَر حرف (L) عن باقى الحروف . وهناك كلمة (GOD) بالحروف الكبيرة التى تفيد معنى الرّب الإله الحقّ وهناك كلمة (god) بالحروف الصغيرة بمعنى الرّب أيضا ولكنه الإله الباطل الزائف ، وهذه الكلمة لها صيغة جمع (gods) بمعنى أرباب آلهة . وأكتفى بهذا القدر من التعريفات الهامة والضرورية لفهم النصوص ثم أحيل القارىء إلى التفصيل لباقى المصطلحات فى كتابى عن كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " فى الكتاب المقدس .

وأبدأ الآن بعون من الله تعالى فى ذكر نصّ نبوءة سفر ملاكى (٣ : ١) من النسخة الإنجليزية القياسية المنقحة (RSV) ، لنتعرّف على المسميات الواردة فى النصّ قبل إيراد الترجمات العربية حتى لا يحدث التشويش على النصّ ومعانى مفرداته . يقول النصّ :

" Behold , I send my **messenger** to prepare the way before me and the **Lord** whome you seek will suddenly come to his temple . the **messenger** of the **covenant** in home you delight , behold , he is coming , sayes the **LORD** of hosts " .

والترجمة إلى العربية كالآتى : " ها أنا ذا أبعث برسولى ليمهد السبيل أمامى . وسوف يأتى فجأة إلى معبده **السيد** الذى تلتمسون مجيئه . رسول الميثاق الذى ترغبون ، هو ذا يأتى . هكذا قال رب الجموع " .

يعتبر هذا النصّ من أشهر النبوءات المِسيّانية عن مجيىء المُخلص المنتظر عند جميع الكنائس المسيحية بلا خلاف . وقد فهموا النصّ أو أفهموه لعامتهم بطريقة خاطئة بعد تحريف معانى أصول الكلمات المشار إليها بالخط الأسود الثقيل . فكلمة (messenger) الإنجليزية تعنى رسول بالعربية . والمعنى مأخوذ من الأصل العبرى القديم ملاك (חןלאכ) وتنطق مَلاك و مُلاك . ولله رسلا من الملائكة ومن البشر . والرسول هنا فى النص رسول **بشرى** أى إنسان سوف يُرْسِلهُ الله إلى الناس ليمهد السبيل - الطريق - لعبادة الله الحقة ، وهو سبيل الله أى الصراط المستقيم .

وقد وردت هذه الكلمة رسول (חןלאכ) مرة ثانية فى النصّ وهى مُقترنة بكلمة ميثاق (בךית) التى تنطق فى العبرية القديمة بريت . وكلمة ميثاق يترجمونها فى العربية إلى كلمة **عهد** مع وجود فارق لغوى كبير فى المعنى بين الكلمتين ميثاق وعهد .

<u>وهذا التكرار لكلمة</u> رسول (messenger) يشاهده القارىء العادى فى الترجمة الإنجليزية القياسية . أقول ذلك لأنّ هناك من غابت عنهم الأمانة العلمية ولم يكتبوا الكلمتين فى النصّ العربى كما هو فى

الأصل . فمنهم مَن ترجموا كلمة ملاكى الأولى إلى رسول ولم يترجموها فى الموضع الثانى وكتبوها على أصلها العبرى ملاكى تمويها وتضليلا للقرّاء ..!!

فإذا أتينا إلى الكلمة الإنجليزية الثانية المُعبَّر عنها فى النسخة القياسية بكلمة (Lord) ، إنها تعنى تماما كلمة السيد العربية أو الشريف أو الأمير أو رب الأسرة . شخص بشرى ذو مكانة محترمة وشخصية مرموقة . وأصل هذه الكلمة فى العبرية أدون (אדון) وتارة تكتب مختصرة أدن (אדן) وهى بمعنى السيد .

أمّا عن الكلمة الأخيرة وهى (LORD) فهى تشير إلى إله اليهود الخاص بهم والذى يرمزون إليه بالحروف الأربعة (ى هـ و هـ יהוה) وهذه الحروف الأربعة لا تشكل كلمة واحدة تنطق كما سبق بيان ذلك فى معظم كتبى السابقة ، ولذا يقول اليهود عند وقوع نظرهم عليها أدوناى أى سيدى وأحيانا يقولون (هـ شيمّ) أى الاسم .

فمعنا الآن ثلاث كلمات هامة فى النصّ من التزم بها فهم النصّ ومن حاد عنها فقد حرَّفَ فى النصّ عن عَمَد ، وهذه الكلمات هى :
رسول (המלאך) وقد تكررت فى النصّ مرتين . والسيد (אדון) . ثم الأربعة أحرف (ى هـ و هـ יהוה) الدالة على إله اليهود الخاص .

وهناك أيضا ملاحظة هامة أخرى على النصّ وهى التركيز على الضمائر المستخدمة فى النصّ . فالخطاب موجه من الإله إلى عباده من يهود القدس . بمعنى أنّ المُخاطبين بهذا النصّ جمع من البشر وليس فرد مُعَيَّن . أذكر ذلك لأنّ هناك فى الترجمات العربية سنجد المترجمون قد حَوّلوا الخطاب إلى فرد مُعَيَّن بدلا من جموع اليهود .

وإلى القارىء النصّ المذكور فى الترجمات العربية المعاصرة :

نسخة فانديك المعتمدة ط ١٩٧٧	نسخة كتاب الحياة ط ١٩٨٨
ها أنا ذا أرسل ملاكى فيهىء الطريق أمامى ويأتى بغتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه وملاك العهد الذى تسرُّون به . هُوَ ذا يأتى قال رب الجنود .	ها أنا أرسل رسولى فيمهد الطريق أمامى ويأتى الرب الذى تطلبونه فجاة إلى هيكله ويُقبلُ أيضا ملاك العهد الذى تُسرُّون به . يقول الرب القدير .
نسخة الكاثوليك ط ١٩٩٣	**نسخة الآباء اليسوعين ط ١٩٩١**
وقال الرب القدير : ها أنا أرسل رسولى فيهىء الطريق أمامى ، وسرعان ما يأتى إلى هيكله الرب الذى تطلبونه ورسول العهد الذى به تُسرّن . ها هو آت .	ها أنا ذا مُرسل رسولى فيُعِدُّ الطريق أمامى ، ويأتى فجاة إلى هيكله السيد الذى تلتمسونه ، وملاك العهد الذى ترتضون به . ها إنه آت ، قال رب القوات .

لعل القارىء قد أدرك سبب نقلى للنصّ أولا من النسخة القياسية والكلام عن الكلمات الثلاثة فى الأصول العبرية . فكما هو واضح من الجدول السابق . عدم الدقة فى نقل معانى الكلمات إلى العربية . فالملاك فى العربية يعنى مَلَك من الملائكة . والسيد غير الرَّب فى المفهوم الدينى .

فمَن الذى سيأتى فجأة أو بغتة (בְּאתְ) إلى معبد الرب وهيكله . أهو السيد أم الرب ..!؟ فهناك نسختان قالتا الرب ونسختان قالتا السيد ..!!

وهل هناك رسولين أم ملاكين أم رسول وملاك ..!!؟ فنسخة قالت ملاكين ، ونسخة قالت رسولين ، ونسختين قالتا رسول وملاك ..!!

ومَن هو قائل ذلك النصّ ، أهو إله اليهود الخاص (ى هـ و هـ יהוה) أم رب القوات أم رب الجنود أم الرب القدير ..!؟

قارئى العزيز : رغم قِصَر كلمات النصّ إلا أنَّ الترجمات العربية اختلفت مع بعضها ولم تتفق نسختان فى ترجمة النصّ إلى العربية .

هل تعلم لماذا ..؟ إنهم يترجمون ما فى رؤوسهم وليس ما هو ماثل أمام عيونهم . فهم يوظفون النصّ على يَحْيَى وعيسى عليهما السلام ، فقالوا رسول ورب ثم قالوا ملاك حتى لا يكون هناك رسول واحد أو رسولين ..!! إنهم يُوحُون بقوة التضليل والترجمة المُضللة إلى القُرّاء بأنَّ هناك شخصان لا شخص واحد ، فقالوا عن الكلمة الواحدة رسول فى موضع وقالوا عنها فى الموضع الثانى ملاك ..!!

فهل يحق لنا أن نفهم النصّ حسب أصله ووفق نصّ ترجمة النسخة القياسية المنقحة الإنجليزية ..!؟ سوف أحاول والله وحده نِعْمَ المُعين ونِعْمَ المُرشد .

لفهم النصّ جيدا نستطيع أن نكتبه على ثلاث فقرات مُستقلة فى معناها ثم نحاول أن نفهم فقرة تلو أخرى هكذا :

أولا : " ها أنذا أبعث برسولى ، ليمهد السبيل أمامى " .

نبوءة بإرسال رسول من الله ، رسول يُمَهّد الطريق أو السبيل إلى الله . وهذا الرسول لم يكن قد بعثه الله تعالى فى الفترة السابقة لبعثة المسيح عليه السلام بدليل استشهاد كتبة الأناجيل بذلك النصّ ومحاولتهم تطبيقه على يَحْيَى والمسيح عليهما السلام . وسوف يأتى الكلام على ذلك التفسير الإنجيلى بعد حين . فيَحْيَى والمسيح عليهما السلام كانا متزامنان فى التوقيت ، وقد قام يَحْيَى بتعميد المسيح فى مياه نهر الأردن كما سبق بيانه . وكلاهما كانا يمهدان السبيل إلى الله . فنادى كل منهما بالتوبة والرجوع إلى الله والاستعداد لقدوم ملكوت الله . ولم يُمَهّد يَحْيَى الطريق أمام المسيح وإنما مَهّد الطريقَ لبنى إسرائيل إلى الله . فأنذر وبشّر ونادى بالتوبة " فقد وُضِعت الفأس على الشجرة لقطعها " . وفعل المسيح عليه السلام بالمثل فأنذر وبشّر ونادى بالتوبة والإيمان بالإنجيل الذى معه فقال عليه السلام " اقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل " .

فكلمة الرسول هنا تنطبق على أحد الإثنين : إمّا على يَحْيَى عليه السلام وإمّا على المسيح عليه السلام . وهنا نجد أننا أمام إختيار سهل أمام الذين يعرفون الفرق بين النبوّة والرسالة ، أو الفرق بين النبيّ والرسُول . فكل رسول نبيّ والعكس غير صحيح . فمن شروط الرسول أن يكون معه كتاب من الله يدعو إلى الإيمان به مثل موسى عليه السلام مثلا . وهذا الأمر لم يتوفر ليَحْيَى عليه السلام وإنما توفر للمسيح عليه السلام حيث نادى بين قومه من بنى إسرائيل بالتوبة والإيمان بالإنجيل كما هو مذكور فى إنجيل مرقس (١ : ١٤) . فرسول الله هنا الذى مَهّد الطريق إلى الله هو المسيح عليه السلام .

ثانيا : وسوف يأتى فجاة إلى معبده السيد الذى تلتمسون مجيئه . رسول الميثاق الذى ترغبون .

وهنا نجد أنّ الكلام يدور حول السيد رسول الميثاق الذى كانوا يريدون ظهوره . إنه شخص واحد ، صفته أنه سيد ورسول الميثاق . وعلامة مجيئه إلى بيت المقدس أن يأتى بغتة (בתאח) سريعا فى لحظة من الزمان . والكلمة العبرية المعبرة عن ذلك نجدها قد وردت أيضا فى سفر يشوع (١٠ : ٩) للدلالة على المفاجأة وقصر الزمن المقطوع للوصول . والمسيح عليه السلام لم يأت إلى بيت المقدس على تلك الصفة أبدا . وإنما جاء إليه راكبا على حمَارة وجحش بن حمَارة فى آن واحد كما قال متى فى إنجيله (٢١ : ٧) ..!!

ولكن سيد ولد آدم ﷺ أتى فجأة إلى بيت المقدس فى لا زمن . راكبا البراق فى رحلة الإسراء الشهيرة . والفرق شاسع بين راكب البراق ذى الأجنحة الذى يضع حافره حيث انتهى بصره ، وبين راكب الجحش والأتان ..!!

ومن صفات سيد ولد آدم ﷺ أنه يُدعى برسول الميثاق حيث أخذ الله تعالى الميثاق من النبيين فى شأنه فقال تعالى فى (٨١ / آل عِمْران) : ﴿ وإذ أخذ الله مِيثاق النّبيّين لمَا آتيتكم مِن كتابٍ وحِكمةٍ ثُمّ جَاءَكم رسُولٌ مُصدّقٌ لمَا مَعَكم لتؤمِنُنّ بِهِ ولتنصُرُنّه . قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصْرى ، قالوا أقررنا . قال فاشهَدُوا وأنا مَعَكم مِنَ الشَاهِدِين ﴾ . ولا يُعرف أنّ المسيح عليه السلام قد وصفه تلاميذه بأنه رسول الميثاق فى أى موضع من الأناجيل ، حتى ينصرف الفكر إليه وانطباق تلك الصفة عليه .

ثالثا : هو ذا يأتى ، هكذا قال رب الجموع .

وهذا تقرير بصحة النبوءة الإلهية بأنّ هذا السيد رسول الميثاق سيأتى إلى بيت المقدس فجأة فى لا زمن يذكر . وذلك هو التوقيع الإلهى من (ى هـ و هـ יהוה) إله بنى إسرائيل . وصدق الله العظيم القائل فى قرآنه الكريم فى مطلع سورة الإسراء : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا . إنه هو السميع البصير ﴾ .

لقد جاء رسول الميثاق وسيد ولد آدم ﷺ ولا فخر كما قال . وقام بإقصاء الأحبار والرهبان والكهنة عن طريق الله بعد أن تمكنوا من أن يكونوا حواجز صلبة بين الله وبين الناس . لقد جاء رسول الميثاق وسيد ولد آدم ﷺ وأطاح بعبادة الأوثان والأصنام . وأعلن عن عبادة الإله الواحد القهّار . لقد جاء ﷺ إلى العالمين وليس إلى فئة قليلة وأمّة ذليلة تدعى بنى إسرائيل .

إنه سيدنا وسيد ولد آدم ولا فخر ، النبىّ العربىّ الأمّىّ الذى كشف الطريق عن الصراط المستقيم أمام الثّقلين ، إنه النبىّ العربىّ الذى أمره رب العزّة تبارك وتعالى فى قرآنه بأن يقول : ﴿ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى . وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ (١٠٨ / يوسف) .

نصّ النبوءة فى الأناجيل اليونانية

لقد أخذ كتبة الأناجيل اليونانية نصّ سفر ملاكى السابق شرحه ووظفوه لصالح المسيح عليه السلام . وكان من لوازم ذلك التوظيف تغيير بعض الكلمات وفحوى الخطاب بالتلاعب بالضمائر الموجودة فى النصّ . كما تم حذف الفقرة التى تتكلم عن إتيان السيد فجأة إلى بيت المقدس . وحتى لا يتحامل القارىء المسيحى علىّ فإنى سأذكر النصّ العربى المترجم عن

الأناجيل اليونانية أولا ، ثم أتكلم قليلا عن الملاحظات الموجودة به تاركا للقارىء العزيز أن يقول قولته في مدى صدق وأمانة الكتبة :

أولا : إنجيل مرقس اليوناني (١ : ٢) .

نسخة فانديك المعتمدة ط ١٩٧٧	**نسخة كتاب الحياة ط ١٩٨٨**
كما هو مكتوب في الأنبياء : ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيىء طريقك قدامك .	كما كتب في كتاب أشعياء لك ها أنا أرسل قدامك رسولي الذي يُعِد لك الطريق .
نسخة الكاثوليك ط ١٩٩٣	**نسخة الآباء اليسوعين ط ١٩٩١**
بدأت كما كتب النبيّ أشعياء : ها أنا أرسل رسولي قدامك ليهيىء طريقك .	كتب في سفر النبي أشعياء : ها عنذا أرسل رسولي قدامك ليعد طريقك .

يلاحظ من الجدول أنّ كاتب الإنجيل أو مترجمه إلى اليونانية لا يعرف مكان النصّ في الكتاب المقدس ، كما ورد ذلك في بعض الأصول اليونانية التي اعتمد عليها مترجمي النسخ العربية (τω Ησαια τω προφητη) القائلة بأنّ النصّ موجود في سفر النبيّ أشعياء ، وقد التزم مترجم نسخة فانديك بأصل آخر يوناني فقال في الأنبياء (εν τοις προφηταις) ..!!

الملاحظة الثانية هى تحَوُّل الخطاب إلى شخص مُعَيَّن بدلا من توَجُّههِ إلى يهود بنى إسرائيل . ومِن ثمَّ فقد حُذِفت كلمة رسولى العبرية (מלאכי) واستبدلت بكلمة يونانية لا تؤدى معنى الرسول بالمفهوم العبرى أو العربى . وهى كلمة إنجليون (αγγελον) التى تعنى مَلَك من الملائكة فى المفهوم اليونانى .

فالمفهوم العام للنصّ المرقسى اليونانى أنه كما هو مكتوب فى سفر أشعياء فإنَّ الآب سوف يرسل ملاكا أمام وجه يسوع ليمهد له الطريق ..!! وأصبح ذلك الملاك فى عُرْف المسيحيين هو يوحنا المعمدان الذى سيمَهِّد الطريق أمام وجه يسوع ..!! وكل ذلك كذب لا أصل له فى أصل نبوءة سفر ملاكى . إضافة إلى حذف الفقرة الكاملة التى تكلمت عن السيد رسول الميثاق وإتيانه لبيت المقدس بغتة فى لا زمن .

هذا مع العلم بأنَّ نصوص الأناجيل اليونانية تنفى الزعم القائل بأنَّ هذا الملاك القادم أمام وجه يسوع هو يوحنا المعمدان . فلم يُمَهِّد يَحْيَى الطريق أمام يسوع ، ومات المعمدان دون أن يتبع يسوع أو يؤمن به كما تقول الأناجيل . فكيف مَهَّد له الطريق ..!!؟

فعندما سُجِنَ يوحنا بعد اعتراضه على زواج هيرودس من زوجة أخيه . أرسل يوحنا إلى المسيح ﷺ من سجنه يسأله " هل أنت الرسول الموعود الذى سيأتى ، أم علينا أن ننتظر سواك ..!؟ " (متى ١١ : ٣) .

فالرسول الموعود لم يأت بعد ولم يتعرّف عليه يوحنا فى شخص المسيح .
ولكن هناك أناس لا يتفكرون ولا يأبهون لمثل هذه الترّاهات فى نظرهم .
فالرسول هو يَحْيَى رغم أنف الأناجيل ورغم أنف سفر ملاكى . وملاك العهد عندهم هو يهوه سبؤث الذى هو يسوع عندهم . ولا يهم معرفة مَن القائل ومن المقول له أو مَن المُخاطِب ومَن المُخاطَب ..!!

ثانيا : نصّ إنجيل متى اليونانى (١١ : ١٠) .

ربما يكون الحال فى إنجيل متى أدق وأصدق فى نقله لنصّ نبوءة سفر ملاكى . فلنقرأ سويا ماذا قال كاتب إنجيل متّى ..!؟

نسخة فانديك المعتمدة ط ١٩٧٧	نسخة كتاب الحياة ط ١٩٨٨
فإنّ هذا هو الذى كتِبَ عنه " ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيىء طريقك قدامك " .	فهذا هو الذى كتِبَ عنه " ها إنّى مرسل قدامك رسولى الذى يمهد لك طريقك " .
نسخة الكاثوليك ط ١٩٩٣	**نسخة الآباء اليسوعين ط ١٩٩١**
فهو الذى يقول فيه الكتاب : أنا أرسل رسولى قدامك ليهيىء الطريق أمامك .	فهذا الذى كتِبَ فى شأنه : ها عنذا أرسل رسولى قدامك ليعد الطريق أمامك .

من نصّ متّى السابق يُقرر لنا كاتب الإنجيل أنّ يسوع هذا هو الذى جاءت هذه النبوءة فى شأنه . وباقى النصّ بنفس معنى نصّ مرقس

السابق . إلا أنّ الجميع لا يعرفون شيئا عن ذلك الملاك (αγγελον) الذى جاء أمام وجه يسوع ليمهد له الطريق ..!!

وكمّا تم حذف الفقرة التى تتكلم عن السيد رسول الميثاق ﷺ من إنجيل مرقس تم حذفها هنا أيضا لعدم انطباقها على المسيح عليه السلام . ولا يفوتنى هنا أن أذَكِرِ القارىء بأنّ أول حضور للمسيح عليه السلام إلى بيت المقدس كان وهو محمول على صدر أمه مريم عليها السلام ، وثانى مرة جاء إلى بيت المقدس فى موسم الحج وهو صَبىّ فى رفقة أمه مريم ويوسف النجار . وثالث مرة أثناء بعثته فلم يرد عنه عليه السلام أنه جاء إلى بيت المقدس بغتة فى لا زمن . كما ثبت عن **السيد رسول الميثاق** ﷺ فى رحلة الإسراء من بيت الله الحرام بمكة المكرمة إلى بيت المقدس فى لا زمن صاحَبَ هذه الرحلة الميمونة .

وأصبحت نبوءة سفر ملاكى بعد ذلك التحوير والتحريف ، من أشهر النبوءات على ظهور المسيح عليه السلام ، يحفظها القسس والرهبان وعامة الناس من المسيحيين دون أن يتحقق أحدهم من صدق محتواها المذكور فى الأناجيل . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم .

يَحْيَى عليه السلام الرِّبِّىّ والرَّبَّانِىّ

==============

قارئى العزيز هَلُمَّ بنا نتعرف سويًا على المعنى اللغوى لكلمة رِبِّى بكسر الراء والباء مع تشديد الباء ، إنها كلمة آرامية وأكادية (كلدانية) وعربية . ومِنَ المتفق عليه حاليا عند الباحثين المتخصصين أنَّ اللغة الآرامية هى لغة يَحْيَى والمسيح عليهما السلام وقومهما فى فلسطين . ولن تجدى محاولة فهم كلمات اللغة الآرامية بعيدا عن التراث اللغوى العربى فهما من شجرة واحدة يزعمون أنها شجرة اللغات السامية ..!!

فنجد فى اللسان العربى المبين أنَّ هناك كلمتان لهما جذرا واحدا ومعناهما متقارب من بعضه ، هما كلمة رِبِّى وكلمة رَبَّانِى بكسر راء الأولى وفتح راء الثانية . وهما من الجذر (ر ب ب) . الذى يفيد الكثرة والنماء . والكلمتين إمَّا تنسبان إلى الرِّبَّة التى تفيد العِظم والكثرة وهى فى اللسان العربى القديم تأتى بمعنى عشرة آلاف وصيغة الجمع منها كما وردت فى أسفار العهد القديم هى ربوات بمعنى عشرات الألوف ، وإمَّا أن تنسب إلى الرَّبّ للدلالة على العلاقة الخاصة بالرَّب المعبود .

فالكلمة الأولى رِبِّى يطلق معناها على العالم الراسخ فى علوم الدين الحائز على العلوم الكثيرة وصيغة الجمع منها رِبِّيُّون . قال تعالى ﴿ وكأين من نبىّ قاتل معه رِبِّيُّون كثير فما وَهَنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما

ضعفوا وما استكانوا . والله يُحِبُّ الصَّابرين ﴾ (١٤٦ / آل عمران) .

والكلمة الثانية رَبَّانِى يطلق معناها أيضا على العالم الراسخ فى علوم الدين الحائز على العلوم الكثيرة وصيغة الجمع منها **رَبَّانِيُّون** . قال تعالى ﴿ ما كان لبشر أن يُؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوّة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا **ربَّانيين** بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ (٧٩ / آل عمران) . وقال تعالى ﴿ إنَّا أنزلنا التوراة فيها هُدًى ونور ، يحكم بها النبيُّون الذين أسلموا للذين هادوا **والرَّبَّانيون** والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ (٤٤ / المائدة) وقال تعالى ﴿ لولا ينهاهم **الرَّبَّانيُّون** والأحبار عن قولهم الإثمَ وأكلهمُ السُّحتَ ، لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ (٦٣ / المائدة) .

فالكلمتان : ربِّى و رَبَّانِى تدلان على درجة علمية تطلق على رجال الدين وعلماء الشريعة ، إلا أنَّ معنى رَبَّانِى أكثر وأعمق فى الدلالة . إنهما كلمتان تعبران عن درجة علمية يتطلع إليها علماء الدين ذوى المناصب العلمية الدينية الرفيعة . فهما فوق درجات الجمع والتحصيل والخبرة والإفتاء والاجتهاد . حيث أنهما مدعمتان بفتح إلهى وعلم ربَّانى لا يمكن الحصول عليه بفعل الفرد وكسبه ولكن بتوفيق ربَّانى وفتح إلهى .

ونجد فى اللسان العربى القديم (اللغة الأكادية) كلمة رَبِّى بفتح الراء وهى من الجذر (ر ب ب) أيضا بمعنى زاد ونما . وخير مثال لها

نجده فى لقب الملك العربى القديم (عَمٌ رابى - ربّى -) (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق . م) ومعناه العمّ الكبير أو العظيم . وينطق الغربيون ذلك الاسم العربى ومن شايعهم من معوجى اللسان من العرب (حمورابى) حيث لا يستطيع الغربيون نطق حرف العين العربى [١] ..!!

وهذه الشخصية العربية القديمة عَمٌ ربّى لها اتصال وثيق بالدين والشرائع السماوية ومكارم الأخلاق . وقد عثر لها فى العراق على ألواح طينية مسجل عليها تعاليم أخلاقية ودينية أطلق عليها مكتشفوها اسم شرائع عَمٌ ربّى ، فنسبوا إلى ذلك الملك العربى القديم شرائع دينية وقيم أخلاقية عالية .

وقد حفظت لنا الأصول اليونانية للأناجيل هاتين الكلمتين بحروف يونانية وتصويت لغوى آرامى وعبرانى (ραββει) و (ραββι) وتنطقان على التوالى ربّىَ وربّى . ومعناهما فى الأناجيل لا يزال كما سبق بيانه : درجة علمية دينية تسمو إليها أفئدة علماء الدين اليهودى وأحبارهم المرموقين .

من المعلوم بداهة أنّ علماء الدين اليهودى من قبل ومن بعد بعثة المسيح عليه السلام كانوا معروفين كمعلمين ومرشدين للأمّة اليهودية . وكان

---

(١) .. دأب علماء المسيحية الغربيون على إطلاق اسم اللغة الكلدانية على اللغة الأكدية مع أنّ الدولة العربية الكلدانية القديمة كانت لغتها الأولى والأخيرة هى اللغة الأكادية وليست الكلدانية حيث لا توجد لغة بهذا الاسم على التحقيق .

الناس يطلقون عليهم ألقاب مُعلّم وسيد ومرشد .... الخ . ولكنهم - أى العلماء - كانوا تواقين للفوز بلقب ربِّى وهذا اللقب لا يمنح إلا من الناس وتوفيق من الله ..!!

يسجل لنا كاتب إنجيل متى (٢٣ : ١ - ١١) أقوال السيد المسيح عليه السلام فى وصف واقع ما عليه علماء الشريعة اليهودية فى عهده ، ومن بين هذه الصفات : أنَّ كل منهم كان تواقا للحصول على لقب ربِّى ليناديه به الناس ..!!

جاء التعبير الإنجليزى (To be addressed as **rabbi**) فى نسخة (NEB) للفقرة (٢٣ : ٧) . ونلاحظ أنَّ الكلمة كتبت فى الإنجليزية (rabbi) التى تنطق ربِّى بفتح الراء وتكرار حرف الباء المكسور الذى يفيد معنى الشدَّه على الحرف فى العربية . ووردت هذه الكلمة (rabbi) فى كل من النسخ الإنجليزية الآتية : (RSV , NEB , PME , JB , NIV , LB , KJV , NASB) . وهى كلمة مأخوذة عن الأصل اليونانى (ραββει) و (ραββι) المأخوذة عن الآرامية رَبِّى و رَبِّىَّ . لاحظ تشديد حرف الباء المعبر عنه بتكرار الحرف فى الإنجليزية (bb) وفى اليونانية (ββ) . وهذا يؤكد أنَّ الجذر اللغوى هو (ر ب ب) وليس (ر ا ب) كما ذهب إلى ذلك بعض الجهلة من مسيحى العرب .

وقد بيّنَ بعض علماء الغرب المسيحى فى شروحهم للأناجيل أنّ النطق الصحيح للكلمة اليونانية الحروف والآرامية النطق ، هو <u>بكسر الراء لا بفتحها</u> كما يقرأها علماء الدين اليهودى . فيضعون حرف (ι) اليونانى بدلا من حرف (α) هكذا (ριββει) وهذا التصويت صحيح بالنسبة إلى اللغة الآرامية حيث أنها تميل إلى كسر أوائل حروف بعض الكلمات مثل كَتَبَ العربية تقرأ كِتَبَ بالآرامية وسَمِعَ العربية حيث تقرأ سِمَعَ فى الآرامية ومنها جاء اسم كبير تلامذة المسيح ﵇ سِمْعَان وهكذا . وللأسف الشديد فإنّ هذه الكلمة العربية الآرامية التى نطق بها المسيح ﵇ وسجلها القوم فى الأصول اليونانية لأناجيلهم ، ضاعت تماما فى التراجم العربية الحديثة للأناجيل حيث ترجمت إلى كلمة مُعَلّم و سَيِّد و ... الخ . عِلما بأنّ هاتين الكلمتين بالتحديد وردتا فى الأصول اليونانية هكذا (καθηγητης) وصيغ الجمع منها (καθηγηται) ؛ (διδασκαλε) .

وسوف أذكر النصّ كاملا من إنجيل متى حسب نسخة فانديك (ط ١٩٧٧) مبينا فيه الأصل اليونانى للكلمات الدالة على رِبِّى و مُعَلِّم و سَيِّد بين قوسين :

" حينئذ خاطب يسوع (عيسى Ιησους) الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم لا يقولون ولا

يفعلون . فإنهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس . فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم . ويحبون المتكأ الأول فى الولائم والمجالس الأولى فى المجامع . والتحيات فى الأسواق وأن يدعوهم الناس : سيدى سيدى (ραββι ραββι) . وأمّا أنتم فلا تدعوا سيدى (ραββι) لأنّ معلمكم (καθηγητης) واحد : المسيح . وأنتم جميعا أخوة . ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأنّ أباكم واحد الذى فى السموات . ولا تدعوا معلمين (καθηγηται) لأنّ معلمكم (καθηγητης) واحد : المسيح " [1] .

نلاحظ فى النصّ السابق أنّ المترجمين قد ترجموا كلمة ربِّى إلى كلمة سيد وفى النسخ العربية الأخرى كتبوها مُعلّم ، مع أنّ كلمة مُعلّم الواردة فى النصّ اليونانى هى (καθηγητης) . وهكذا ضاعت الكلمة العربية الآرامية من الترجمات العربية حتى لا يفطن القارئ العربى إلى أنّ المسيح ﷺ كان يتكلم بلغة تقترب كثيرا من اللغة العربية التى نتكلمها نحن العرب ..!!

---

(١) .. النص منقول عن كتاب اتفاق البشرين ص ٤٦١ متى (٢٣ : ١ - ١٢) .
والكلمات اليونانية مأخوذة عن كتاب Interlinear Greek English New Testament

ففى النصّ نجد تواضع المسيح ﷺ حين وصف نفسه بكلمة مُعلّم (καθηγητης) ولم يصف نفسه بكلمة ربّى (ραββι) ، إلا أننا سنجد التلاميذ جميعا يطلقون عليه لقب ربّى بكسر الراء ولم يعترض عليهم . وأيضا سنجد جمعا من اليهود ومن عامة الناس رجالا ونساء يطلقون عليه ذلك اللقب الرّبّانى .

ولا تزال هذه الكلمة يستخدمها المسلمون وصفا لعلمائهم العاملين بما يقولون والمتضلعين فى علوم الشريعة الإسلامية ، فيقولون العالم الرّبّانى . ولا يزال اليهود يستخدمونها أيضا فى لغتهم العبرية الجديدة صفة لعلماء شريعتهم فيقولون عالم ربُّونى (Ribboni) بكسر الراء وضم الباء مع تشديدها . ولكن للأسف الشديد نجد أنّ المسيحيين قد أضاعوا هذه الكلمة ولا يستخدمونها كصفة لعلمائهم كأنه لا يوجد فيهم عالم يُنْسَبُ علمه إلى الرب ..!!

وقد أفضت فى إثبات أنّ المسيح ﷺ كان ربّىّ وربّانِيّ بشهادة الشهود المعاصرين له ، وذلك فى كتابى المسيح هارونى أم داودى فراجعه هناك . أمّا عن نبىّ الله يحيى بن زكريّا ﷺ والذى يدعونه بالمعمدان أى المُغسّل . فقد ذكر كاتب إنجيل يوحنا (٣ : ٢٦) أنّه كان أيضا ربّىّ . ويُعتبر هو الإنجيل الوحيد الذى ذكر هذه الحقيقة . ولقد أطْلَقَ ذلك الوصف ربّى على نبىّ الله يَحْيَى ﷺ أتباعه وتلاميذه وذلك حين حدث خلاف

بينهم وبين رجل من قومهم حول مسألة فقهية من مسائل الطهارة ، فقدموا إلى معلمهم يَحْيَى بن زكريا عليه السلام وقالوا له : ربِّى . فوصفوه باللقب الرَّبَّانىّ الذى وصفوا به المسيح عليه السلام فيما بعد .

وقد وردت هذه اللفظة (Rabbi) فى معظم النسخ الإنجليزية لإنجيل يوحنا أذكر منها : (KJV , NIV , PME , RSV , JB , NEB , NASB) وذلك في الفقرة (٣ : ٢٦) . أمَّا عن الترجمات العربية فقد حُذِفت منها الكلمة العربية ربِّى وكتبوا بدلا منها الكلمات مُعلِّم و سَيِّد .

****

وتعليق ما قبل الختام يدور حول حياة يَحْيَى عليه السلام ، لقد قلت فى ثنايا الكتاب بأنَّه لم يقتل ولكنه مات موتته الطبيعية فى سلام تصديقا لقول الحق تبارك وتعالى ﴿ وسلام عليه يوم وُلِدَ و يوم يموت ويوم يُبعث حيًّا ﴾ . وهذا الأمر يقتضى أنَّه عاش فى سلام بعيدا عن أعدائه ، وربَّما تزوج ورزق ببنين وبنات قبل موته تصديقا لقول الحق تبارك وتعالى حين دعاه زكريَّا بقوله " ﴿ فهَبْ لى مِن لدُنك وَلِيًّا يرثنى ويرث مِن آل يعقوب ، واجعله ربِّ رضيًّا ﴾ . فاستجاب الله له بقوله تعالى ﴿ فاستجبنا له ﴾ . والغريب فى الأمر أنَّ طائفة المُغتسلة أتباع يَحْيَى يقولون بأنه تزوج وأنجب بنات وبنين ذكروهم بأسمائهم فى كتبهم المقدسة .

وهناك قبر مزعوم فى المسجد الأموى بدمشق يقول أصحابه بأنه قبر نبىّ الله يَحْيَى عليه السلام ، وهناك قبر آخر بمدينة حلب الشهباء والله تعالى أعلم بحقيقة الحال . وفى مصر يزعم المسيحيون أن هيكل يَحْيَى العظمى موجود بدير أبى مقار ..!!

كلمة الختام

======

أحمدك اللهم على ما أنعمت وفتحت لى مغاليق هذا البحث المتواضع . وأصلى وأسلّم على رسولك المجتبى مَحَمَّد ﷺ القائل فى صحيح أحاديثه : " لا ينبغى لأحد أن يقول أنا خير من يَحْيَى بن زكريَّا ما همَّ بخطيئة ولا عملها " [1] . فكان ذلك المبحث عن نبىّ الله يَحْيَى بن زكريَّا عليه السلام الذى قال عنه المسيح عليه السلام كما ورد فى إنجيل متى (١١ : ١١) : " إنه لم يظهر بين مَن ولدتهم النساء أعظم من يَحْيَى " .

فطوّفتُ بالقارىء الكريم حول أهم المعالم البارزة فى اسم ودعوة نبىّ الله السيد الحصور الذى آتاه الله حنانه اللدنى يَحْيَى عليه السلام . ذلك النبىّ الذى أهمل قومه ذكره وتناسوا اسمه ورسمه ، ثم حاول المستشرقون ولا يزالون يهاجمون نصوص القرآن الكريم بشأنه ، ويُسَفّهون التفاصيل القرآنية الدقيقة حول أحوال والديه والحَمْل به وولادته ونشأته واسمه .

---

(١) .. مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢١٢ . وقال الهيثمى " رواه البزار ورجاله رجال الصحيح " .

ولقد قالوا مِن أين حصل مُحَمَدٌ العربىّ الأمّىّ على هذه التفاصيل الدقيقة التي تتعارض مع المكتوب عندهم فى الأناجيل اليونانية ..!؟

فلك اللهم الحمد أولا وآخرا أن مننت علىَّ بنعمة الدفاع عن النصّ القرآنى وكشف الغمّة عن النصوص الإسلامية ، وبيان خطأ المعلومات المسيحية عن ذلك النبىّ العظيم . فصحيح اسمه ليس يوحنا أو يوحنان أو جون وإنّما هو يَحْيَى . اسم لم يجعل الله له سابق تسمية بين البشر ﴿ لم نجعل له مِن قبل سَميًا ﴾ .

فهارس الكتاب

========

معانى الاختصارات الأجنبية

IGENT	Interlinear Greek - English New Testament
RSV	Revised Standard Version
NRSV	New Revised Standard Version
KJV	King James Version
NKJV	New King James Version
NEB	New English Bible
PME	Phillips Modern English
NIV	New International Version
JB	Jerusalem Bible
TEV	Today's English Version
NASB	New American Standard Bible

فهرس بأسماء المراجع الأجنبية

1 · Eight Translation New Testament .

- King James version .
- Phillips Modern English .
- Rivesed standard version .
- The Jerusalem Bible .
- The living Bible .
- New international version .
- Today's English version .
- The New English Bible .

USA Tyndale House publishers Inc. (1985).

2 The Hebrew - Greek . Key study Bible .

New American standerd Bible .

AMG publishers .(1990) USA

3 The New King James Version . USA (1997)

4 New Revirsed Standard Version .
Zondervan publishers USA (1996)

5 Interlinear Greek - English . New Testament .
By George Richer Berry - Baker House - USA (1994)

6 Strongs Exhaustive Concordance .
James H. strong - BAKER House . USA (1992)

7 Thayer's Greek - English Lexicon of the New Testament .
Joseph H. thayer - Baker House . USA (1994)

8 Gesenius Hebrew - Chaldee Lexicon to the old Testament .
H.W.F. Gesenius - Baker House . USA (1994)

9 B.A.K.E.R. Encyclopaedia of the Bible .
BAKER book house . USA (1989)

10 The International Standard Bible Encyclopaedia .
Grand Rapids , Michigon . USA (1992)
11 New Bible Dictionary .
Inter - varsity , Leicester , England . (1985)
12 Pictorial Bible dictionary .
Merrill C. Tenney . The Zondervan publishing house . USA (1994)
13 Smith's Bible Dictionary .
William Smith , LL.D. - Tove Book . USA (1982)
14 The New Century Bible Commentary , USA (1987)
- The Gospel of Matthew (David Hill)
- The Gospel of Mark (Hugh Anderson)
- The Gospel of Luke (E. Earle Ellis)

فهرس بأسماء المراجع العربية

١ الكتاب المقدس .

النسخة الوطنية المعتمدة (AV) .

جمعية الكتاب المقدس فى الشرق الأدنى . ط ١٩٧٧.

النسخة المصرية البروتستانتية (كتاب الحياة) .

جى.سى.سنتر - مصر الجديدة - القاهرة . ط ١٩٩٢.

نسخة الكاثوليك .

دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط - لبنان . ط ١٩٩٣.

طبعة الآباء اللبنانية .

دار المشرق ش م م - بيروت ط ١٩٩١.

نسخة التفسير التطبيقى للعهد الجديد (NAV) .

طبع بريطانيا ١٩٨٦ .

٢ قاموس الكتاب المقدس .

مجموعة من العلماء - دار الثقافة بالقاهرة .

٣ فهرس الكتاب المقدس .

دكتور / جورج بوست .

٤ معجم اللاهوت الكتابى .

الأب كنزافيه ليون دوفر اليسوعى - دار المشرق - بيروت ط ١٩٨٦

٩ شرح إنجيل لوقا (١ ، ٢ ، ٣) .

الخورى بولس فغالى ـ الرابطة الكتابية ـ بيروت ـ ١٩٩٦ .

١٠ يسوع المسيح فى تقليد الكنيسة .

فاضل سيدراوس ـ دار المشرق ش.م.م. ـ بيروت (ط ١٩٩٢) .

١٢ أديان العرب قبل الإسلام .

الأب جرجس داود ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ـ بيروت ط ١٩٨٨ .

١٦ محمد ﷺ كما ورد فى كتاب اليهود والنصارى .

عبد الأحد داود ـ دار أبو القاسم للنشر والتوزيع ـ جدة ط ١٤١٤ هـ .

١٧ تاج العروس من جواهر القاموس .

محمد مرتضى الزبيدى . دار مكتبة الحياة . بيروت .

١٨ فتح البارى بشرح صحيح البخارى .

أحمد بن علىّ بن حجر العسقلانى . دار الريّان للتراث . القاهرة .

١٩ مِن مرقاة المفاتيح شرح مِشكاة المصابيح .

علىّ بن سلطان محمد القارى . دار إحياء التراث . بيروت .

٢٠ كتاب الفهرست للنديم . تحقيق رضا ـ تجدد .
طهران ـ مهر سنة ١٣٥٠ (اكتوبر سنة ١٩٧١) .

فهرس الموضوعات

*****

تم الكتاب بحمد الله

قائمة بأسماء كتب المؤلف

=============

أولا : دراسات فى المسيحية

١ ـ الإنجيل كتاب أم بشارة ..؟

٢ ـ عيسى أم يسوع ..؟

٣ ـ المسيح هارونى أم المسيح داودى ..؟

٤ ـ المسيح والمِسيّا .

٥ ـ التوراه مصرية .

٦ ـ تابوت سيدى يهوه .

٧ ـ نبىّ أرض الجنوب .

٨ ـ يسوع النصرانىّ ـ مسيح بولس .

٩ ـ المسيح .. الأسطورة والواقع (موسوعة سيرة المسيح عليه السلام) .

١٠ ـ معالم أساسية فى الديانة المسيحية .

١١ ـ مباحث فى المسيحية والإسلام .

١٢ ـ يَحْيَى أم يوحنّا ..!!؟

١٣ ـ الرّد الوجيز على القِسّ فريز .

١٤ ـ المُؤيّد القرآنى والبارقليط الإنجيلى .

١٥ ـ اسم الدين الذى جاء به عيسى عليه السلام فى الأناجيل .

ثانيا : دراسات فى الإسلام

١٦ ـ هذا عطاؤنا فى الرضاع .

١٧ ـ العشرة المبشرون بالجنة .

١٨ ـ أهل الصُّفّة .

١٩ ـ أصحاب الكهف والرقيم .

٢٠ ـ ذو القرنين ويأجوج ومأجوج .

٢١ ـ يا ليت قومى يعلمون ..!؟

٢٢ ـ كشف النقاب عن مزاعم عبد الوهاب .



Bibliotheca Alexandrina
06444108